3 me Année, No. 83. | Lundi-4-2-1935

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع البدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٥٣ — ٤ فبراير سنة ١٩٣٥ » السـنة الثالثة

فهرس العـــدد

صفحة			
١٦١	مجلس نادر . . .	:	أحمد حسن الزيات
١٦٣	بنته الصغيرة	:	الأستاذ مصطفى صادق الرافعى
١٦٧	الفردوسى	:	الأستاذ عبد الحميد العبادى
١٧١	مجالس الأدب فى القرن الثامن عشر	:	الأستاذ محمد فريد أبو حديد
١٧٤	الغزو اليابانى الاقتصادى	:	الأستاذ محمد عبد الله عنان
١٧٧	حول ١٩ يناير	:	الأستاذ محمد محمود جلال
١٧٩	النزعة العملية فى الأدبين العربى والانجليزى	:	الأستاذ فخرى أبو السعود
١٨١	محاورات أفلاطون	:	ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود
١٨٣	بين القاهرة وطوس	:	الدكتور عبد الوهاب عزام
١٨٥	الراعى (قصيدة)	:	الأستاذ محمود الخفيف
١٨٦	أندريه جيـد	:	على كامل
١٩٠	بيان للناس	:	سعادة محمد طلعت باشا حرب
١٩٣	كانديلورا (قصة)	:	لويجى بيراندللو ترجمة « ا. ا. ى »
١٩٦	الوادى	:	لامرتين . ترجمة « الزيات »
١٩٧	أبيات شتى	:	لصائب التبريزى . ترجمة « عزام »
١٩٨	الاسلام والحضارة العربية (كتاب)	:	« الخفيف »
١٩٩	ضحايانا الأطفـــال (كتاب)	:	«

مجلس نادر . . . .

نعم مجلس نادر ! وندرته فى طبيعة الغرض منه ، وشخصية الداعى إليه ، وقيمة الجالسين فيه ؛ كان الغرض منه إصلاح ما بين أخى طه وبينى ، وإصلاح ما فسد من ذات البين بين صديقين شىء فى طبع هذا الأدب المعاصر نادر ؛ وكانت الشخصية الداعية إليه هى الآنسة الجليلة (مىّ) ، وشخصية (مى) فى عصور الشرق الأخيرة نادرة ؛ وكان الجالسون فيه الدكتور طه ، والأستاذ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور أحمد زكى ، والأستاذ محمد عبدالله عنان ، وتهافُتُ هذه العبقريات المختلفة على شعاع لطيف من ذكاء المرأة الشرقية المثقفة نادر ؛ وكان البهو المترف الذى سمَرنا فيه قد انسجم بأثاثه ونظامه وألوانه وضوئه مع ذوق الآنسة الشاعرة ، فكان نمطاً من الحديث الصامت أذكى المشاعر وألهم الأذهان فى الحديث الناطق !

قالت الكاتبة النابهة وقد انتظمنا حولها عقداً كانت هى واسطته : «أرجو أن تكونوا شخصاً واحداً... » فقال لها الدكتور طه : « نعم وتكونين أنت روحَه » وعلى ظَرف هذا الخطاب ، وبراعة هذا الجواب جرى سِقاط الحديث . وكانت الآنسة تُصَرِّف الكلام وتساجل هؤلاء الأعلام ببديهة حاضرة ولقانة عجيبة ،

فمثَّلتْ لى صورة من صور أولئك الأديبات اللاتى أنشأن باستعدادهن للأدب مجالس فى عهوده الزاهرة، كسكينة ابنة الحسين، والولادة ابنة المستكفى بالله، ومدامُ دِ رَمْبُويِيه، ومدام جوفرين، وأضرابهن ممن وفقن بين اللغة والبلاغة، و بين الأدب والذوق، و بين الفن والسمو، ثم وشَّين ثقافة عصورهن بألوان شتى من إناقة المعرض، وجمال الأداء، وحسن المبادهة، فقدَّرت فى نفسى مبلغ ما تفيده المرأة المثقفة فى مناهج الأدب ومظاهر الفكر وقواعد السلوك وأوضاع العُرف، وقلت: مساكين نحن! إذا ظفر أدبنا بهذه المجالس، فأَنَّى تظفر مجالسنا بهذه المرأة؟

لست بطبيعتى وتربيتى رجل صالون ولا حِدِّيث مجلس، لأن المجامع المختلطة التى تدفع الحياء عن الذهن، وتُذهب الخوف عن اللسان، وتجعل أطراف الحديث فى متناول كل جالس، أبتْها علينا التقاليد، فأنا أدرك حتى فى هذه الجهة أثر هذه المجالس فى علاج هذا النقص الاجتماعى الموروث

* * *

تشقق الحديث عن صور شتى من لَفَتات الذهن النشيط، ثم مسحت (مى) بيدها الساحرة على ما كان بين الصديقين فاذا الماضى يعود كله، و إذا الحاضر يذهبُ كله. وعلاقة هذين الصديقين علاقة نشأت مع الصّبى واستحارت مع الشباب وتوثقت على الزمن، فلما نال منها العهد المجرم الذى نال من كل شىء جزعت الآنسة الكريمة فيمن جزع، وظلت تتحين المناسبة لسفارة الوفاق والمودة حتى تم لها ذلك ليلة الأمس!!

وللانسان ماضٍ من الأمكنة والأزمنة والأشخاص لا يستطيع مهما جدا أن يسقطه من حياته: فمسقط الرأس، وملاعب الطفولة، ومسارح الهوى، ومغانى الأحبة، وغفلات العيش، ورفقة الحداثة، لا ينسخها فى ذاكرتك ما يمر على عينيك من ضخامة العمران و بسطة السلطان، وسورة المنصب، وزحمة المنافسة، وصور الوجوه، وتنوع العلائق

ألْهُ عنها بالحاضر إذا شئت، وأثبت نظرك فى وجه الغد إن استطعت، فانك صائر ولابد إلى الذكرى بعد الأمل، ولاند بأمن الماضى من خوف المستقبل؛ وحينئذ تجد هذه المراحل السعيدة واضحة فى خيالك، مشرقة فى نفسك، تجدد عمرك المفقود، وتحدد زمانك المبهم، وتفيض على جفاف قلبك شعوراً هادئاً لذيذاً باستحضار ما غيَّبتَ من لذة، واستذكار ما نسيت من سعادة

كان حسب صديقى وحسبى لحظة من الذكرى تعيد عازب الحلم وتكسر عادية الجدل، ولكننا كنا وكانت مصر يومئذ تكابد محنة من الطغيان العاسف أوهنت الأعصاب، وحللت الروابط، ومدت بين الناس أسباب العلل

* * *

أخى طه!

لقد تعانقنا عند اللقاء كأن لم تكن جفوة، وتناقلنا الحديث فى المجلس كأن لم تكن خصومة، وتمنت ربة الدار أن يكون بيننا عتاب فلم نجد ماثلا فى النفس إلا أن كلينا صورة من شباب الآخر وقطعة من وجوده!

تلك كانت جناية العهد البغيض كما قلت: أفرط فيه الجور حتى نسينا العدالة، وتنكرت المعرفة حتى اتهمنا الصداقة، وران الشك على القلوب حتى حال بيننا و بين الحقيقة. فالحمد لله الذى أظهرك على الكيد، وأظفرك بالكائد، وأعادك موفور الكرامة إلى موضعك

عزيزتى الآنسة مى!

جزعتِ أول الناس لهذا الخلاف الواغل عن باعث من طبعك، وكتبت فى كف هذا الجدل القاسى بوحى من شعورك، وسعيت للصلح هذا السعى النبيل بدافع من نفسك، وكل ذلك وليس بيننا غير العلاقة التى يبرمها الأدب بين أهله على بُعد! فأنا أسجل لك فى الرسالة هذا الحب الغريزى للخير، والاخلاص الطبيعى للعلم، والايمان الصادق بالأدب، والجهاد المتصل فى تأليف القلوب بالمودة، وتثقيف العقول بالمعرفة، وتغذية النهضة الفكرية بالانتاج الخصيب، واسمحى لى أن أبشر أصدقاء الرسالة وقراءها بأنك قبلت أن تدخلى فى أسرتها، وأن تحملى نصيبك من دعوتها، وذلك فضل آخر منك يضاعف الشكر لك، وفوز جديد للرسالة يجدد الشكر لله

احمد حسن الزيات

بنته الصغيرة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

تتمة

. . . وجاء من الغد أبو يحيى مالكُ بنُ دينار الى المسجد ، فصلى بالناس ، ثم تحوّل الى مجلس درسه وتكنّفوا حوله ؛ وكانوا الى بقيّة خبَره فى لهفةٍ كأن لها عُمراً طويلاً فى قلوبهم ، لا ظمأ ليلةٍ واحدة

وقال منهم قائل : أيها الشيخ ، جُعِلتُ فِداك ، ماكان تأويلُ الحَسَن لتلك الآية من كلام الله تعالى ، وكيف رجَعَ الكلام فى نفسك مَرْجِعَ الفكر تتَبّعُه ، وأصبح الفكر عندك عملاً تحذو عليه ، واتصل هذا العملُ فكان ما أنت فى وَرَعك و . . . ؟

فقطع الامام عليه وقال : هَوّنْ عليك يا هذا ؛ إن شيخك لأهونُ من أن تذهب فى وصفه يميناً أو شمالاً ، وقد روى لنا الحَسَن يوماً ذلك الخبرَ الواردَ فيمن يُعذّب فى النار ألف عام من أعوام القيامة ، ثم يدركه عفوُ الله فيخرج منها ، فبكى الحسن وقال : « ياليتنى كنت ذلك الرجل ! » وهو الحسنُ يا بنيّ ، هو الحسن

فضجّ الناس وصاح منهم صائحون : يا أبا يحيى ، قتلتنا يأساً . وقال الأول . إذا كان هذا فأوشكْ أن يمسنا اليأسُ والقنوط ، فلا ينفعنا عملٌ ولا نأتى عملاً ينفع

قال الشيخ : هوّنوا عليكم ، فان للمؤمن ظنَّين : ظنّاً بنفسه ، وظناً بربه ؛ فأما ظنُّه بالنفس فينبغى أن ينزلَ بها دون مَجَحّاتها ولا يفتأ ينزل ؛ فاذا رأى لنفسه أنها لم تعمل شيئاً وجب عليها أن تعمل ، فلا يزال دائماً يدفعها ، وكلما أكثرتْ من الخير قال لها : أكثِري . وكلما أقلّتْ من الشر قال لها : أقلى . ولا يزال هذا دأبُهُ ودأبُها ما بقى ؛ وأما الظنُّ بالله فينبغى أن يعلوَ به فوق الفترات والعِلل والآثام ولا يزال يعلو ؛ فان الله عند ظنّ عبدِه به ، إنْ خيراً فله وإنْ شرًّا فله . ولقد روينا هذا الخبر : « كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتَل تسعاً وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على راهب فأتاه ، فقال : إنه قتل تسعاً وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ قال : لا ! فقَتَله فكمّل به مائة ! ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل عالم ، فقال له : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ قال : نعم ؛ ومَن يحول بينك وبين التوبة ؟ إنطلِقْ الى أرض كذا وكذا فان بها أُناساً يعبدون الله عز وجل ، فاعبُد اللهَ معهم ولا ترجعْ الى أرضك ، فانها أرضُ سَوْء .

فانطلَقَ ، حتى إذا نصَّفَ الطريق أتاه ملكُ الموت ، فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذاب ؛ فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مُقبلاً بقلبه الى الله . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قطّ . فأتاهم مَلكٌ فى صورة آدميّ فجعلوه حَكَماً بينهم ، فقال : قِيسوا ما بين الأرضين ، فالى أيهما كان أدنى فهوَ له . فقاسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التى أراد ، فقبضتْه ملائكةُ الرحمة !

قال الشيخ : فهذا رجُل لما مشى بقلبه الى الله حُسِبت له الخطوةُ الواحدة ، بل الشبر الواحد ؛ ولو أنه طوّف الدنيا بقدميه ولم يكن له ذلك القلب ، لكان كالعظام المحمولة فى نعش ؛ قبرُها فى الشرق هو قبرها فى الغرب ، وليس لها من الأرض ولا للأرض منها إلا معنى واحدٌ لايتغير ؛ هو أنه بجملته ميّت ، وأنها بجملتها حُفْرة

والانسان عند الناس بهيئة وجهه وحِلْيته التى تبدو عليه ، ولكنه عند الله بهيئة قلبه وظنّه الذى يظنُّ به ؛ وما هذا الجسم من القلب إلا كقشرة البيضة[1] مما تحتها . فيالها سخريةً أن تزعم القشرة لنفسها أن بها هى الاعتبار عند الناس لا بما فيها ، إذ كان ما تحويه لايكون إلا فيها هى ؛ ومن ثمّ تُبعِدُ فى حماقتها فتسأل : لماذا يرمينى الناس ولا يأكلوننى . . . ؟

إن هذه الأخلاقَ الفاضلةَ فى هذا الانسان لا تجد تمامَ معناها إلا فى حالة بعينها من أحوال القلب ، وهى حالة خشوعه على وصفها الذى شرحته الآية الكريمة : « أَلَمْ يَأْنِ للذين آمَنُوا أن تَخْشَعَ قُلوبُهمْ لِذِكْرِ اللهِ وما نَزَلَ مِنَ الحقّ . »

---

(١) قشرة البيضة العليا اليابسة تسمى القيض بفتح القاف وسكون الياء ، والقشرة الداخلة الملتزقة بالبياض تسمى الغرقئ بكسر الغين والقاف

فالأخلاقُ الفاضلةُ محدودةٌ بالله والحقّ معاً ، وهى كلُّها فى خشوع القلب لهذين ؛ فان من القلب مخارجَ الحياة النفسية كلها

قال الشيخ : وأنا منذ حفظتُ عن الحسن تأويلَ هذه الآية ، واستبنتُ بها ، مضيتُ أعيشُ من الدنيا فى تاريخ قلبي لا فى تاريخ الدنيا ، وأدركتُ من يومئذ أنْ ليس حفظُ القرآن حفظَه فى العقل ، بل حفظُه فى العمل به ؛ فان أنت أثبت الآية منه وكنت تعمل بغير معناها ، وتعيش فى غير فضيلتها فهذا – ويحك – نسيانُها لا حفظُها . وقد كان قومُنا الأوّلون بمعانيه كالشجرة الخضراء النامية ؛ فيها ورقُها الأخضر وزهرُها وثمرُها ، وعلى ظاهرها حياةُ باطنها ، فلما ثبتَ الناسُ على الشكل وحده ، ولم يبالوا القلبَ وأحوالَه أصبحوا كالشجرة اليابسة ؛ عليها ورقُها الجافُّ ليس فى بقائه ولا سقوطه طائل

ما أصبحتُ ولا أمسيت منذ حفظتُ تفسير الآية إلا فى حياةٍ منها ، وهذه الآية هى دلّتنى بمعانيها أن ليست الحياةُ الأرضيّةُ شيئاً إلا ثورةَ الحيّ على ظُلْم نفسه ، يستكينُ عنها أكثرَ مما يستجرُّ لها ؛ والناسُ من شقائهم على العكس يستجرُّون أكثرَ مما يستكينون ، وإنما السعيدُ مَن وجد كلماتٍ روحانيةً إلهيةً يعيشُ قلبُه فيهن ، فذاك لا يعمل أعمالَه كما يأتى ويتفق ، بل يحذو على أصل ثابت فى نفسه ، ويختار فيما يعمل أحسنَ ما يعمل ؛ ومِن ثمّ لا يكون جهادُه مزاحمةً أو خضوعاً فى سبيل الوجود كالحيوان ، بل فى سبيل صحّةِ وجوده ؛ ولا يكون غرضه أن يلابسَ الحياةَ كما تأخذه هى وتدَعه ، بل أن يحيا فى شرف الحياة على ما يأخذها هو ويدَعها

إن الشقاء فى هذه الدنيا إنما يجُرُّه على الانسان أن يعمل فى دفع الأحزان عن نفسه بمقارفته الشهوات وباحساسه غرورَ القلب ؛ وبهذا يُبعد الأحزان ليجلبَها على نفسه فى صورٍ أخرى !

* * *

قال الشيخ : وكان مما حفظته من تفسير الحسَن قوله :

إن كل كلمة فى الآية تكاد تكون آية ، وليست الكلمةُ فى القرآن كما تكون فى غيره ، بل السُّمُوُّ فيها على الكلام ، أنها تحمل معنًى وتُومِئ إلى معنًى وتستتبعُ معنى ؛ وهذا ما ليس فى الطاقة البشرية ، وهو الدليل على أنه « كتابٌ أُحكِمَتْ آياتُه ثم فُصِّلَتْ »(1)

يقول الله تعالى : « ألم يَأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبُهم لذكر الله وما نزل من الحق »

« ألم يأنِ » هذه الكلمة حثٌّ ، وإطماعٌ ، وجدالٌ ، وحجة ؛ وهى فى الآية تُصرّح أن خشوع القلب الذى تلك صفتُه هو كمال الايمان ، وأن وقت هذا الخشوع هو كمالُ العمر وكيف يعرف المؤمنُ أنه (سيأنى) له أن يعيش ساعة أو مادونها ؟ إذَنْ فالكلمةُ صارخةٌ تقول : الآنَ الآنَ قبل ألّا يكون آن . أيْ : البدارَ البدارَ ما دمتَ فى نفَس من العمر ؛ فان لحظة بعد (الآن) لا يضمنها الحيّ . وإذا فنى وقتُ الانسان انتهى زمنُ عمله فبقى الأبد كله على ماهو ؛ ومعنى هذا أن الأبد للمؤمن الذى يدرك الحقيقة ، إنْ هو إلا اللحظةُ الراهنة من عمره التى هى (الآن) . فانظر – ويحك – وقد جُمِلَ الأبد فى يدك ؛ انظر كيف تصنع به ؟

تلك هى حكمة اختيار اللفظة من معنى (الآن) دون غيره على كثرة المعانى

ثم قال : « للذين آمنوا » وهذا كالنّصّ على أن غير هؤلاء لا تخشع قلوبُهم لذكر الله ولا للحق ، فلا تقومُ بهم الفضيلة ، ولا تستقيم بهم الشريعة ، وعالِمُهم وجاهلُهم سواء ؛ لا يخشعان إلا للمادة ؛ وكأن إنسانهم إنسانٌ ترابيّ ، لا يزال يضطربُ على مَكَر الليل والنهار بين طرفين من الحيوان : عيشِه وموتِه ؛ وما تقسو الحياةُ قسوتَها على الناس إلا بهم ، وما ترِقُّ رقّتَها إلا بالمؤمنين

وجَعل الخشوعَ للقلوب خاصةً ، إذ كان خشوعُ القلب غير خشوع الجسم ؛ فهذا الأخير لا يكون خشوعا ، بل ذلاً ، أو ضَعةً ، أو رياءً ، أو نفاقاً ، أو ما كان . أما خشوع القلب فلن يكون إلا خالصاً مُخلَصاً محْضَ الارادة

واشترطَ « القلبَ » كأنه يقول : إنما القلبُ أساسُ المؤمن ، وإن المؤمن ينبع من قلبه لا من غيره ، متى كان هذا القلب خاشعاً لله وللحق . فان لم يكن قلبه على تلك الحال ، نَبَعَ منه الفاسقُ

(1) طريقتنا فى اكتناه إعجاز القرآن أن الكلمة الواحدة من كلماته لها جهات عدة ؛ كما ترى فيما نشرحه من تفسير هذه الآية ؛ وفيما جئنا به من تفسير آيات سبقت فى المقالات الأخرى ؛ فالبحث فى فهم القرآن يجب أن يكون فى اللفظة ووجه اختيارها وسياق تركيبها وما تدل عليه فى كل ذلك ، وما يدل كل ذلك بها . وقد بسطنا هذا فى كتابنا إعجاز القرآن

والظالم والطاغية وكلُّ ذى شر . ما أشبهَ القلبَ تتفرعُ منه معانى الخُلُق ، بالحبّة تتسرحُ منها الشجرة ؛ فخُذْ نفسَك من قلبك كما شئت ؛ حُلواً من حلوٍ ومُرّاً من مُرّ

وخشوعُ القلب لله وللحق ، معناه السموُّ فوق حب الذات وفوق الأثرة والمطامع الفاسدة ؛ وهذا يضع للمؤمن قاعدةَ الحياة الصحيحة ، ويجعلُها فى قانونَين لا قانونٍ واحد ؛ ومتى خشع القلب لله وللحق عَظُمتْ فيه الصغائر من قوةِ إحساسه بها ، فيراها كبيرةً كبيرةً وإن عَمِيَ الناسُ عنها ، ويراها وهى بعيدةٌ منه بمثل عين العُقاب ، يكون فى لُوحِ الجوّ ولا يغيب عن عينه ما فى الثّرَى

وقد تخشع القلوبُ لبعض الأهواء خشوعاً هو شرٌّ من الطغيان والقسوة ؛ فتقييدُ خشوعِ القلب « بذكر الله » هو فى نفسه نفْيٌ لعبادةِ الهوى وعبادةِ الذات الأنسانية فى شهواتها . وما الشهوةُ عند المخلوق الضعيف إلا إلـهُ ساعتها . فيا ما أحكمَ وأعجبَ قولَ النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرقُ السارقُ حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربها وهو مؤمن » . جَعَلَ نزعَ الإيمان موقوتاً « بالحين » الذى تُقترَفُ فيه المعصية ؛ إذ لم يكن الله عند هذا الشقىّ هو إلـهَ ذلك « الحين »

والخشوعُ لِمَا « نَزَلَ من الحقّ » هو فى معناه نفْيٌ آخرُ للكبرياء الأنسانية التى تُفسِد على المرء كل حقيقة ، وتخرج به من كل قانون ؛ إذ تجعل الحقائق العامة محدودةً بالإنسان وشهواته ، لا بحدودها هى من الحقوق والفضائل

ويخرج من هذا وذلك تقريرُ الأرادة الأنسانية ، وإلزامُها الخيرَ والحقّ دون غيرها ، وقهرُها للذات وشهواتها ، وجعلُها الكبرياء الأنسانية كبرياءَ على الدنايا والخسائس ، لا على الحقوق والفضائل . وإذا تقرر كل ذلك انتهى بطبيعته إلى إقرار السكينة فى النفس ، ومحوِ الفوضى منها ، وجعْلِ نظامها فى إحساس القلب وحده ؛ فيحيا القلبُ فى المؤمن حياةَ المعنى السامى ، ويكون نبضُه علامةَ الحياة فى ذاتها ، وخشوعُه لله وللحق علامةَ الحياة فى كمالها

وقال : « ما نَزَلَ من الحقّ » كأنه يقول : إن هذا الحق لا يكون بطبيعته ولا بطبيعة الأنسان أرضيّاً ، فاذا هو ارتفع من الأرض ، وقرّره الناسُ بعضُهم على بعض ، لم يجاوز فى ارتفاعه رأسَ الأنسان ، وأفسدتْه العقول ؛ إذ كان الأنسان ظالماً متمرّداً بالطبيعة ، لا تحكمه من أول تاريخه إلا السماءُ ومعانيها وما كان شبيهاً بذلك مما يجيئُه من أعلى ؛ أىْ بالسلطان والقوة ؛ فيكون حقاً « نازلاً » مُتدفّقاً كما يَتصوَّب الثُّقلُ من عالٍ ، ليس بينه وبين أن ينفذ شىء

والخشوعُ لما نزل من الحق ينفى خشوعاً آخر هو الذى أفسد ذاتَ البينِ من الناس ، وهو الخشوع لما قام من المنفعة وانصرافُ القلب اليها بإيمان الطمع لا الحق

وبجملة الآية على ذلك الوجه يتحقق العدلُ والنّصفَةُ بين الناس ؛ فيكون العدل فى كل مؤمنٍ شعوراً قلبياً ، جارياً فى الطبيعة لا مُتكلَّفاً من العقل ؛ وبهذا وحده يكون للانسان إرادةٌ ثابتة على الحق فى كل طريق ، لا إرادةٌ لكل طريق ، وتستمرّ هذه الأرادة مُتّسقةً فى نظامها مع إرادة الله ، لا نافرةً منها ولا متمرّدةً عليها ؛ وهذا وذاك وذلك يُثبّت القلبَ مهما اختلفت عليه أحوال الدنيا ، فلا يكون من إيمانه إلا سموُّه وقوّتُه وثباتُه ، وينزل العمرُ عنده منزلةَ اللحظة الواحدة ، وما أيسرَ الصبرَ على لحظة ! ما أهونَ شرّ « الآن » إن كان الخيرُ فيما بعده

أَلَمْ يأنِ ؛ أَلَمْ يأنِ ؛ أَلَمْ يأنِ . . .

* * *

قال الشيخ : وكان الحسَنُ فى معانيه الفاضلةِ هو هذه الآيةَ بعينها ؛ فما كانت حياتُه إلا اسلاميةً كهذا الكلام الأبيض المُشرقِ الذى سمعتُه منه ؛ شعاره أبداً : « الآنَ قبل ألاّ يكونَ آن . » وإمامُه : « خُذْ نفسَك من قلبك . » وطريقتُه « شَرفُ الحياة لا الحياةُ نفسُها »

وكان يرى هذه الحياة كرَقمة الطائر ؛ هى عملُ جناحين مُستوفِزَينِ أبداً لعملٍ آخر هو الأقوى والأشدّ ، فلا ينزلان بطائرهما على شىءٍ إلا مطويّينِ على قدرةِ الارتفاع به ، ولا يكونان أبداً إلا هَفهافَين خفيفين على الطيران ؛ إذ كانا فى حكم الجوّ لا فى حكم الأرض ، وآلةُ الوقوع والطيران بالانسانِ شهواتُه ورَغَباتُه ؛ فان حطّته شهوةٌ لا ترفعه فقد أوبَقته وأهلكته وقذفت به ليُؤخَذ .

لقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغُ العبدُ أن يكونَ من المتقين حتى يَدَعَ مالا بأسَ به حذراً مما به بأس » وهذا ضربٌ من خشوع القلب المؤمن فيما يحلّ له ؛ يَدَعُ أشياءَ كثيرةً لا بأس عليه فيها لو أتاها ، ليَقوَى على أن يدع ما فيه بأس ، فان الذى يترك ماله يكون أقوى على ترك ماليس له .

والنفسُ لابدَّ راجعةٌ يوماً إلى الآخرة ، وتاركةٌ أداتَها ؛ فقِوامُ نظامها فى الحيـاة الصحيحة أن تكون كل يوم كأنها ذهبتْ إلى الآخرة وجاءت . وتلك هى الحكمة فيما فرضته الشريعةُ الاسلامية من عبادةٍ راتبةٍ تكون جزءاً من عمل الحياة فى يومها وليلها . فاذا لم تكن النفس فى حياتها كأنها دائما تذهب إلى مصيرها وترجع منه ، طَمسَها الجسمُ وحبسها فى إحـدى الجهتين ، فلم يبقَ لها فيه إلا أثر ضئيل لا يتجاوزُ النصح ، كاعتراض المقتول على قاتله ، يحاول أن يَرُدَّ السيفَ بكلمة . . ! وبذلك يتضاعف الجسم فى قوّته ويشتدّ فى صولته ، ويتصرَّف فى شهواته كأن له بطنين بجوعان معاً . . فتستَهلِكُ شهواتُ المرء دينَه ، وتقذف به يميناً وشمالاً ، على قصـدٍ وعلى غير قصد ، وتمضى به كما شاءت فى مَدْرَجةٍ مَدْرجةٍ من الشرّ ؛ ومثلُ هـذا المسرفِ على نفسه لا يكون تمييزُه فى الدين ولا إحساسُه بالخير إلا كذلك السِّكّير الذى زعموا أنه أراد التوبة ، وكانت له جرّتان من الخمر ، فلما اتعظَ وبلغ فى النظر إلى نفسه وحظَّ إيمانه وأراد أن يطيع الله ويتوب — نظر إلى الجرّتين ثم قال : أتوبُ عن الشرب من هذه حتى تفرغَ هذه . . . !

* * *

قال الشيخ : ثم إنى تُبتُ على يد الحسن ، وأخلصتُ فى التوبة وصححتُها ، وعلمتُ من فعله وقوله أن حقيقة الدّين هى كبرياء النفس على شرّها وظلمها وشهواتها ، وأن هذه الكبرياء القاتلة للأثم هى فى النفس أختُ الشجاعة القاتلة للعدوّ الباغى ، يفخر البطلُ الشجاعُ بمبلغه من هذه ، ويفخر الرجل المؤمن بمبلغه من تلك ، وأن خشوع القلب هو فى معناه حقيقةُ هذه الكبرياء بعينها .

وحدّثتُ الحسنَ يوماً حديثَ رؤياى(١) وما شُبّه لى من عملى السيء وعملى الصالح ، فاستدمعتْ عيناه :

وقال : إن البنتَ الطاهرةَ هى جهادُ أبيها وأمها فى هذه الدنيا ، كالجهاد فى سبيل الله ؛ وإنها فوزٌ لهما فى معركةٍ من الحياة ، يكونان هما والصبر والايمان فى ناحية منها قبيلاً ، ويكون الشيطانُ والهمُّ والحزن فى الجهة المُناوِحة قبيلاً آخر .

إن البنتَ هى أمٌّ ودار ، وأبواها فيما يكابدان من إحسان تربيتها وتأديبها وحياطتها والصبر عليها واليقظة لها — كأنما يحملان الأحجار على ظهرَيهما حجراً حجراً ، ليَبْتنِيا تلك الدار فى يوم يوم الى عشرين سنة أو أكثر ، ما صحبتْه ُوما بقيتْ فى بيته . فليس ينبغى أن ينظر الأبُ الى بنته إلا على أنها بنتُه ، ثم أمُّ أولادها ، ثم أمُّ أحفاده ؛ فهى بذلك أكبرُ من نفسها ، وحقها عليه أكبر من الحقّ ، فيه حُرمتها وحرمة الانسانية معاً ؛ والأبُ فى ذلك يُقرض اللهَ إحساناً وحناناً ورحمة ، فحقٌّ على الله أن يوفّيه من مثلها ، وأن يُضعفَ له

والبنت ترى نفسها فى بيت أهلها — ضـــعيفةً كالمنقطعة وكالعالّة ، وليس لها إلا اللهُ ورحمةُ أبويها ؛ فان رحماها ، وأكرماها فوق الرحمة ، وسرّاها فوق الكرامة ، وقاما بحق تأديبها وتعليمها وتفقيهها فى الدين ، وحفظا نفسها طاهرة كريمةً مسرورةً مؤدّبةً — فقد وضعا بين يَدَى الله عملاً كاملاً من أعمالها الصالحة ، كما وضعاه بين يدى الانسانية . فاذا صارا الى الله كان حقّاً لها أن يجدا فى الآخرة يميناً وشمالاً يذهبان بينهما إلى عفو الله وكرمه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ابنةٌ فأدّبها فأحسنَ تأديبها ، وغذّاها فأحسن غذاءها ، وأسبغَ عليها من النعمة التى أسبغ اللهُ عليه — كانت له ميمنَةً وميسرةً من النار إلى الجنة . »

فهذه ثلاثٌ لابدَّ منها معاً ، ولا تُجزِىءُ واحدةٌ عن واحـدة فى ثواب البنت : تربيةُ عقلها تربيةَ إحسان ، وتربيةُ جسمها تربيةَ إحسان وإلطاف ، وتربيةُ روحها تربيةَ إكرام وإلطاف وإحسان

* * *

قال الشيخ : واللهُ أرحمُ أن تضيعَ عنده الرحمة ؛ والله أكرم أن يضيع الأحسان عنده ، والله أكبر . . .

وهنا صاح المؤذّن : الله أكبر

فتبسّم الشيخ وقام إلى الصلاة .

طنطا مصطفى صادق الرافعي

(١) ذكرت الرؤيا فى القسم الأول من هذه المقالة

صور من التاريخ الإسلامي

١ ـ الفردوسي (١)

للأستاذ عبد الحميد العبادي

احتفلت الأمة الإيرانية في أكتوبر الماضي بذكرى مرور ألف سنة على ميلاد شاعرها الأكبر أبي القاسم الفردوسي، وقد دام احتفالها نحو شهر من الزمان كانت إيران كلها فيه متصلة الأعياد بادية البشر والسرور. ولم تكن الحفاوة بتلك الذكرى مقصورة على الايرانيين وحدهم، فقد شاركهم فيها العالم المتحضر شرقه وغربه، فأوفدت ثماني عشرة دولة كبيرة إلى إيران من يمثلها في الاحتفال بذكرى الفردوسي، وزاد بعضها من قبيل المجاملة للأيرانيين والمبالغة في تقدير شاعرهم فاحتفى بتلك الذكرى احتفاء خاصاً في عواصمه. فعل ذلك الألمان في برلين، والانجليز في لندن، والفرنسيون في باريس، والايطاليون في رومية. وعما قريب تحذو مصر حذوهم فتهب ذكرى الفردوسي أسبوعاً من الزمن يتحدث فيه بالقاهرة نفر من فضلائها عن حياة الفردوسي وشعره، وعن أثر قومه في عالم الفن والأدب

وأريد بهذه المناسبة أن أعرض في هذا المقال وفي مقال آخر آت ببيان وجيز لسبب حفاوة الفرس وغير الفرس بذكرى الفردوسي. وسنرى أن البحث سيكشف لنا عن شخصية فذة عجيبة حقاً. شخصية استطاعت من جهة أن تستنقذ قومية ولغة كان يتنازعهما البقاء والعدم، ومن جهة أخرى ساهمت بنصيب موفور في ميراث العالم الأدبي الباقي على وجه الزمان

***

هو أبو القاسم الحسن بن علي الفردوسي، وكلمة (الفردوسي) لقبه الشعري، فقد جرت عادة الفرس من قديم أن يخلعوا على شعرائهم ألقاباً خاصة كالدقيقي، وملك الشعراء، وحكم الشعراء وهكذا. ولد على رأي بعض الثقات حوالي عام ٣٢٥ هـ بقرية من قرى مدينة طوس بخراسان يقال لها (باژ)، وورث عن أبيه ضياعاً كانت تغل عليه في صدر حياته كفايته من المال. وتعلم في حداثته ما كان يتعلمه أمثاله من أبناء الدهاقين في ذلك الزمان، فحذق الفهلوية والعربية، وشغف في صباه بقرض الشعر الفارسي والتوفر على مطالعة القصص الفارسي القديم. فأنشأ كل ذلك فيه اعتداداً بقومه واعتناقاً لمذهبهم الشيعي. وشدا شيئاً من آراء المتكلمين من المعتزلة، فنشأ فارسي الهوى، شيعي المذهب، معتزلي الرأي

كان أمر خراسان في ذلك الوقت إلى الدولة السامانية، وهي دولة فارسية من الدول التي تقسمت سلطان الدولة العباسية بضعف السلطة المركزية في بغداد ابتداء من القرن الثالث الهجري. وقد جهد السامانيون في بث الروح القومي الفارسي مستعينين على ذلك بما للتاريخ والأدب من القوة في إذكاء الروح القومي عامة. فنقل وزيرهم البلعمي برسم الأمير منصور الساماني تاريخ الطبري إلى الفارسية، وتقدم عاملهم على طوس أبو منصور ابن عبد الرزاق إلى رجل يقال له أبو منصور المعمري في جمع أخبار الفرس القدماء في شكل تاريخ شعبي لفارس من أقدم عصورها إلى الفتح الأسلامي، فعهد المعمري بالأمر إلى أربعة من الفرس الزرادشتيين لجمعوا ذلك التاريخ من الكتب المحفوظة في قلاع فارس، وفي خزائن الموابذة والدهاقين. ثم كتبوا ذلك التاريخ بالفارسية الحديثة وسموه «الشاهنامة» أي «كتاب الملوك»، وكان ذلك حوالي عام ٣٤٧ هـ؛ وأراد السامانيون أن يسهل على الفرس تناول هذا التاريخ وتداوله فعهد الأمير نوح ابن منصور الساماني بنظمه شعراً إلى فتى فارسي شاعر يعرف بالدقيقي. فأخذ الدقيقي في ذلك فنظم منه ألف بيت ثم هلك غيلة حوالي عام ٣٦٦ هـ

اطلع الفردوسي على الشاهنامة المنثورة وعلى ما نظم الدقيقي منها من نسخة أعاره إياها صديق له يقال له (محمد لشكري). وأشار عليه ذلك الصديق أن يتم ما شرع فيه الدقيقي، وصادف ذلك هوى في نفسه، فامتثل الاشارة وعكف على نظم الشاهنامة من حيث انتهى صاحبه، فقضى في ذلك ثلاثاً وعشرين سنة أتم

(١) أذيع مضمون هذا المقال بالراديو من محطة الأذاعة المصرية في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٤. هذا ولم نقصد في بحثنا إلى تاريخ الشاعر من الناحية الفنية فليس ذلك من شأننا، إنما قصدنا إلى التحدث عنه من حيث أن حياته تلقي ضوءاً على الحال السياسية لآسيا الوسطى الأسلامية في القرن الرابع الهجري. ومن يرد سيرة الشاعر نفسه فليلتمسها في مظانها وخاصة الشاهنامة نفسها، ومقدمة (مول) للترجمة الفرنسية للشاهنامة، وكتاب نولدكه عن الشاهنامة، ومقدمة الدكتور عزام لترجمة البنداري العربية للشاهنامة

فيها نسخة الشاهنامة الأولى (٣٨٩ هـ) ثم أهدى تلك النسخة إلى كبير من كبراء الفرس الظاهرين بأرض أصبهان يقال له أحمد الخالنجانى ، فأجازه عليها بجائزة يسيرة

* * *

فى تلك السنين الطوال كانت خراسان قد تبدلت بها الحال ؛ لاضطراب أمر الدولة السامانية القومية المستنيرة ، وعراها مايعرو البلاد عادة عند التأذن بذهاب دولة وقيام أخرى . فأهملت المرافق العامة وخاصة مرافق الرى ، والبلاد بعدُ بلاد زراعية ، فشح الماء ، وجف الزرع ، وأجدبت الحقول ، ونالت ملاك الأراضى شدة تعذر عليهم معها أداء الخراج الموضوع على أراضيهم . وكان الفردوسى بطبيعة الحال من ضحايا تلك الشدة الاقتصادية ، وزاده ضنكا وسوء حال انصرافه إلى حياة الأدب المحض ، واضطراره إلى أن يستكفى غيره النظر فى شئون أرضه . ويظهر أثر تلك الحال واضحاً فى ترديده فى شعره الشكوى من الفاقة وتنكر الزمان . وقد اضطر آخرة الأمر إلى مسألة أصدقائه ، فأعانه منهم نفر كرام النفوس أو فياء القلوب ، كافأهم عن صنيعهم بأن نوه بذكرهم فى الشاهنامة . والحق أن الفردوسى ، وقد فقد الانتفاع بأرضه أصبح يرى أن من حقه على الناس أن يكافئوه على جهوده الأدبية بمال يزوج منه ابنته الوحيدة ، وينفق منه على نفسه فى شيخوخته . وطفق لذلك يبحث عن أمير نبيل أو ملك جليل يهدى إليه الشاهنامة فيجيزه عنها بجائزة تحقق أمنيته ، وسرعان ما وجد ذلك الملكَ الجليل فى شخص السلطان محمود الغزنوى

والسلطان محمود الغزنوى أوحد ملوك الاسلام لذلك العهد ، وأحد أبطال التاريخ الاسلامى على الأطلاق . قد شاد بعزمه وهمته ملكاً عريضاً وسع سهل الهندستان ، وخراسان ، وتركستان ، وطبرستان ، وفارس . وأصبحت قاعدته (غزنة) بمساجدها ومدارسها وخزائن كتبها وعلمائها الأعلام من أمهات المدن الاسلامية . ويقال إنه لم يجتمع قط فى مدينة أسيوية فى وقت واحد من أعيان الأدب وأقطاب العلم والفلسفة مثل من اجتمع بغزنة على عهد السلطان محمود . ذلك بأن السلطان كان شغوفا بالعلم والأدب ، حريصاً على اجتذاب العلماء من مختلف البلدان الاسلامية ليقيمهم بحضرته ، فيزدان بهم بلاطه ، وتكون له من قربهم شهرة أدبية تضاف إلى شهرته الحربية التى طبقت الآفاق . ومن العلماء الذين حفلت بهم غزنة على عهده ، البيرونى والعتبى المؤرخان ، والفارابى الفيلسوف ، وأبو الفتح البستى الشاعر العربى ، والعسجدى والعنصرى والفرّخى ، وكلهم من سباق شعراء الفرس فى الاسلام . وكان الرئيس أبو على بن سينا قد قصد حضرة السلطان ثم بداله فعدل عنها إلى جهة أخرى . وكان السلطان كلما فرغ من حرب وأقام بعاصمته متودعاً ، جلس إلى أولئك العلماء يحدثهم أو يستمع إلى حديثهم ، وهو فى تصيده العلماء ومباهاته بهم يذكرنا بسيف الدولة الحمدانى ، والحكم المستنصر الأندلسى ، وبفردريك الأكبر ملك بروسيا ، ولويس الرابع عشر ملك فرنسا

ذلك هو الملك الجليل الذى رآه الفردوسى مهوى فؤاده ومحط آماله . فأخـذ يعد العدة لانتجاع حضرته والاغتراف من فيض جوده . فجعل يراجع الشاهنامة ، مطامنا بين أجزائها ، مكملاً ما نقص منها ، مستدركاً ما فاته فى نسختها الأولى ومحلياً فصولها بمدَح سنية يطوق بها جيد ذلك الملك المظيم . وقد قضى فى ذلك إحدى عشرة سنة ، فقد فرغ من إعداد النسخة الثانية للشاهنامة عام ٤٠٠ هـ وبلغت عدة أبياتها ستين ألفاً

* * *

توجه الفردوسى الى غزنة ومعه راويه ونسخة الشاهنامة ، فلقى وزير السلطان الرئيس الكبير أبا العباس الفضل بن أحمد ، وكان معنياً بنشر الفارسية ، فأبلغه حضرة السلطان . واطلع السلطان على الشاهنامة ، ولا ريب أنه أدرك أنها ثمرة مجهود عقل جبار ، ولكنه مع ذلك لم يتقبلها بقبول حسن . والروايات القديمة مجمعة على أن الوشاية والكيد قد عملا عملهما فى إفساد قلب السلطان على الوزير والشاعر معاً . ولكن الأمر أجل من ذلك وأعظم . فليس من شك فى أن ذلك السلطان التركى المسلم ، الذى أنفق من الجهد فى إعلاء كلمة الأسلام فى الهند ما أنفق ، والذى كان نصيراً للسنة ، وخصما ألد للباطنية والمعتزلة ، هذا السلطان لم يعجبه أن يشيد الفردوسى بمجد حازه الفرس أيام مجوسيتهم ، كما لم يعجبه أن ينفخ فى بوق العصبية الفارسية ، وأن يدير كتابه على الحروب التى وقعت فى القديم بين إران وطوران ، كما لم يعجبه تشيعه وجهره بآرائه الدالة على اعتزاله . كل ذلك قصد بالسلطان أن يجيز الشاعر بالجائزة التى كان يتوقعها ، والتى كان يعلق عليها

آمالا كباراً . فيقال إنه بعث اليه بعشرين ألف درهم فقط مكافأة على مجهود خمس وثلاثين سنة

لكن الفردوسي لم يكن الرجل الذي يحتمل هذا التقصير في حقه . فقد جزى السلطان شر جزاء . فيقال إنه دخل حماماً فلما خرج منه شرب فقاعاً ، ثم قسم عطية السلطان بين الحمامي والفقاعي . وبلغ ذلك السلطان فهاج غضبه ، وهم بأن يبطش بالشاعر ، فلاذ الفردوسي بالفرار من غزنة ، وظل مختبئاً بمدينة هراة ستة أشهر نظم فيها مائة بيت من الشعر هجا فيها السلطان هجاء لاذعاً موجعاً . فلما سكن عنه الطلب خرج إلى طبرستان ونزل على صاحبها الأصبهبد شهريار فأكرم مثواه وطيب خاطره ، واعتذر اليه عن السلطان بأن الأمر لم يعرض عليه كما ينبغي ، واشترى منه هجو السلطان بمائة ألف درهم ، ثم محا ذلك الهجو من الشاهنامة محواً . بيد أن الفردوسي رأى أنه غير آمن على نفسه في طبرستان لأنها داخلة في حكم السلطان محمود ، فخرج عنها إلى العراق العربي ، ونزل على أميره سلطان الدولة البويهي . ونظم له قصة (يوسف وزليخا) وهي من قصص القرآن الكريم . والفردوسي يصرح في صدر هذه القصة بأنه نظمها تكفيراً عن إضاعته عمره في نظم الشاهنامة ، التي حشوها أساطير الفرس الأولين ، ولكن يظهر أن الفردوسي أراد بنظم تلك القصة أن يلائم بين نفسه وبين البيئة العربية التي أدى به تطوافه اليها

ومهما يكن من شيء ، فلا شك أن الفردوسي رأى نفسه غريباً بالعراق ، وأن سراج حياته يوشك أن ينطفيء ، وأحب أن يوافيه أجله في مسقط رأسه ، قريباً من ابنته ووسط أهله ومعشره ، وهون الخطب عليه أن السلطان كان قد ذهب عنه غضبه عليه ، وأن أمره كان قد نسي أو تنوسي ببلاط غزنه . فخرج من العراق شاخصاً نحو طوس ، فبلغها شيخاً فانياً مهدود القوى قد جاوز الثمانين

وتذكره السلطان محمود في ذلك الوقت . وذلك أنه كان راجعاً من الهند الى عاصمة ملكه ، فعرض له ثائر في قلعة حصينة ، فأرسل السلطان الى الثائر رسولاً أن « إيت غداً . وقدم الطاعة واخدم حضرتنا ، والبس التشريف ، وارجع » فلما كان الغد ركب السلطان والى جانبه وزيره أحمد بن الحسن الميمندي . فلما بصر السلطان بالرسول مقبلا قال للوزير « ترى ماذا يحمل من الجواب ؟ » فتمثل الوزير ببيت من الشاهنامة معناه « إذا لم يكن الجواب كما أريد ، فأنا والجرز والميدان وافراسياب » فقال السلطان « لمن هذا البيت الذي تنبعث الشجاعة منه ؟ » قال « للمسكين أبي القاسم الفردوسي الذي احتمل العناء خمساً وعشرين سنة وما جنى أية ثمرة » قال السلطان « أحسنت عما ذكرتني ، إني ليحزنني أن يحرم عطائي هذا الرجل الحر ؛ ذكرني في غزنة لأرسل اليه شيئاً » فلما قدم الوزير غزنة ذكر السلطان ، فقال السلطان « مر لأبي القاسم بستين ألف دينار يعطاها نيلجا ، ويحمل على الأبل السلطانية ، ويعتذر اليه »

غير أن القدر الساخر شاء ألا تنفذ مشيئة السلطان ، فيقال إنه عند ما وصلت الابل التي تحمل الهدية إلى طوس ، كان الفردوسي قد أسلم الروح (٤١١ هـ) ، وإنه بينما الابل داخلة من بعض أبواب المدينة ، كانت جنازة الشاعر خارجة من باب آخر

وأراد رسل السلطان أن يدفعوا الهدية الى ابنة الفردوسي ، ولكنها اعتذرت عن عدم قبولها . عند ذلك أمر السلطان أن ينفق المال في بعض وجوه البر ، فعمروا به رباطاً للمجاهدين على حدود أقليم طوس . وكذلك نفى السلطان عن نفسه آخرة الأمر تهمة التقصير في حق الشاعر الكبير . فان ادعى مدع أنه ظلمه في الأولى فقد أنصفه في الثانية ، ودل بذلك على نفس كبيرة وحلم عظيم

* * *

تلك بالاختصار سيرة الحكيم أبي القاسم الفردوسي . وهي سيرة تفصح عما أوتيه ذلك الشاعر من قوة تتمثل في صدق عزيمته ، وبعد همته ، وعظم غايته ، وثبات مقصده ، كما أنها تفصح عن ضعفه الذي يبدو في حدة مزاجه ، وكثرة شكواه من الفاقة وتبرمه بالناس والزمان ، ثم في ندمه في مطلع قصته الثانية على ما أنفق من جهده وأضاع من عمره في نظم ملحمته الأولى . على أن ذلك كله ليس مناط تعظيم قومه لذكراه ، إنما مناط ذلك هو الصنيع الجليل الذي أسداه الى القومية الفارسية واللغة الفارسية الحديثة

ولبيان ذلك ينبغي أن نرجع مع الزمن الى أوائل القرن الأول الهجري ، فلقد حمل العرب إذ ذاك على الدولة الفارسية ، وما هي إلا سنوات معدودات ، حتى كانوا قد قضوا على ملك آل ساسان ،

وصيروا فارس أقليماً من أقاليم الخلافة العربية ، وانتشر الاسلام بعقب ذلك فى فارس حتى كاد يقضى على الدين الزرادشتى ، كما انتشرت العربية بين الفرس حتى أخملت الفهلوية وكادت تمحوها

قبل الفرس الاسلام عن طواعية نفس وطيب خاطر . أما القومية فقد جاهدوا من أجل الاحتفاظ بها جهاداً عظيما . وقد تطور هذا الجهاد من مجرد مطالبة بالحقوق العامة قام بها الموالى زمن الدولة الأموية ، الى مؤازرة للثائرين عليها من الخوارج والشيعة ، الى ثورة عامة انجلت عن سقوط الدولة الأموية العربيـة ، وقيام الدولة العباسية التى كانت فارسـية فى أكثر أوضاعها العامة ، الى استقلال سياسى يسره ضعف السلطة المركزية ببغداد ، الى سعى حثيث فى أن يكون للفرس وجود قوى صحيح

الى هذا المجهود الضخم الموجه الى الاحتفاظ بالقومية ، قام الفرس بمجهود آخر رائع من أجل إنهاض لغتهم وتعميم استعمالها فى بلادهم

لقد طغت العربية على الفهلوية فى العصر العربى الأول طغياناً كان من أثره أن انحصر استعمال هذه اللغة فى حدود إقليمية ضيقة : فى فارس وخراسان وطبرسـتان ، ولم تسلم الفهلوية فى معاقلها هذه من التأثر بالعربية ، فقـد أصبحت تكتب بالحرف العربى ودخلتها ألفاظ وتعابير عربية أحالتها الى طور جديد من تاريخها عرفت فيه بالفارسية الحديثة . وبتنبه الشعور القومى عم استعمال اللغة المذكورة فى تلك الأقاليم الثلاثة ، حتى كادت العربية تنمحى من بعضها ، كما يؤخذ من قول المتنبى : —

مغانى الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمانـ
ولـكن الفتى العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنـــة لو سار فيها سليمان لسار بترجمانـ

وقد عول سـاسة الدول الثلاث : الطاهرية والصـفارية والسامانية ، على أن يجعلوا الفارسية الحديثة لغة أدب وتدوين ، فشجعوا الشعراء على النظم بالفارسية ، وأمر السامانيون بتدوين تاريخ قوى للفرس ؛ ونظمه بهذه اللغة كما تقدم القول

وعلى الرغم من التقدم الذى أحرزه الفرس فى أمر قوميتهم ولغتهم ، فانهم كانوا فى أواخر القرن الرابع بحاجة الى مدد أدبى ممتاز يبعث فى القومية الفارسـية روحاً قوياً ، ويثبت دعائم الفارسية الحديثة وينهضها على أساس ثابت ، وقد أمد الفردوسى قومه بهـذا المدد . فالشاهنامة تبى بأبسط عبارة وأبلغ تصوير تاريخ الفرس القـدماء ومفاخرهم وآدابهم وأساطيرهم . لذلك اضحت فى حياة ناظمها — وهذا أمر منقطع النظير — ملحمة قومية ، ولم يمض طويل زمن حتى غدت « قرآن القوم » على حد تعبير صاحب المثل السائر

* * *

لقد أدى الفردوسى « رسالته الخاصة » أحسن الأداء ، وأصبح فضله على قومه ولغته باقياً ما بقى قومه ولغته وقد عرف له قومه هذا الفضل فذكروه فى هذه الأيام فأحسنوا ذكراه ، وشادوا فوق رفاته بناء عالياً ، وهذا جهد مثوبة الحى للميت . وان الانسان ليذكر فى هذا المقام دانتى الأيطالى ، وكورياس اليونانى ، فكلاهما أذكى الروح القومى فى بلده ، وجدد بمجهوده الخاص دارس لغته ، هذا بنثره ، وذاك بشعره ؟

(البقية فى العدد القادم) عبد الحميد العبادى

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائيل

صفحات من العشرين

لشاعر الحب والجمال (لامرتين)

مترجمة بقلم

احمد حسن الزيات

والقصـــة قطعة من شباب لامرتين ، وجذوة من شعوره ، ولحن من شعره . طبعتها لجنـة التأليف والترجمة والنشر طبعة أنيقة منقحة رخيصة فاطلبها منها أو من ادارة الرسالة أو من أى مكتبة ، والثمن ١٢ قرشا

فى الأدب المصرى

مجالس الأدب
فى القرن الثامن عشر
بدار رضوان بك

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

مما اعتاد الناس سماعه أن يقول قائل : لا حيّا الله أيام القرن الثامن عشر فى مصر ! وقد لا يتورع القائل أن يرمى ذلك العهد بأقبح شبه وأشنع الآراء : فيصفه تارة بالظلم ، وتارة بالظلمة ؛ وما أكثر ما تسمع الآذان ذكراه مصحوبة بنسمية لاذعة ، فلا يقال إلا أنه كان عهد المماليك ، أو عهد ظلم العثمانيين . وليس فى ذلك عجب ، فإن من كانوا قديماً لا يرون الماضى على حقيقته ، فهم إما أن يروه عصراً أعظم من عصرهم لا يستطيع حاضرهم أن يجاريه فى شىء ، وإما أن يروه عهداً دون عهدهم لا يرضون أن تقاس حال أيامهم به . والعصور كالناس تختلف فى الحظوظ وتتباين ، فكما أن بعض الناس يكتسب من الحمد فوق ما يستحق ، وينسب اليه من كريم الخلال ما ليس من طبعه ، فكذلك الأيام ، قد ينعت الناس بعض عصورها بما ليس من حقه ، وينسبون اليه من الفضائل أكثر مما يجدر به ، وكما أن بعض الناس قد يسلب جزاؤه ، وتجحد حسنته ، وينكر فضله ، فكذلك قد يظلم التاريخ عهداً من العهود ، فلا يقر له بفضل ، ولا يحجم فى وصفه عن تهمة ، ولا يتعرض له إلا بالأذى : ولقد كان عصر أمراء المصريين من هذه العصور المظلومة التى جحد التاريخ فضلها ، وأذاع مثالبها ، وأخفى مناقبها ، وصوّرها صورة مشوهة بغيضة . ولسنا بسبيل بيان الأسباب التى حملت التاريخ على ذلك الظلم ، ولكنا نكتفى بأن نقول إن الأحياء قد يكون لهم نفع من اتهام الأموات ، وقد يعود عليهم بعض الخير من الافتراء على الجدود . ولا حاجة بنا إلى التطويل فى دفع هذا الاتهام ولا فى دفع هذا الافتراء ، فما فى هذه الأطالة تحقيق للقصد . وحسبنا أن نصف مجلساً أدبياً فى بعض هذه الأيام الماضية ، وللقارئ أن يحكم من هذا الوصف إذا كانت تلك الأيام الغابرة جديرة بما يصفها به المتهمون المفترون :

* * *

كانت أمور مصر فى منتصف القرن الثامن عشر قد خلصت إلى اثنين من الزعماء : أحدهما الأمير ابراهيم ، والآخر الأمير رضوان . وقد أصبحا صاحبى الأمر فى البلاد لا ينازعهما إلا المنافسون فى دخائل صدورهم ؛ وأما ظاهر الأمر فلم يكن لهما فيه شريك . حتى أن الباشا العثمانى الذى كان يمثل السلطان لم يكن له إلى جانبهما أمر ولا نهى

ولقد كان لكل من هذين الأميرين متجه يتجه اليه فى رياسته ، فكان ابراهيم صاحب السلطان ، وقائد الجيوش ، ومدبر السياسة ؛ على حين كان رضوان مؤلف القلوب ، وقبلة القصاد ؛ وكان الأميران على اختلاف اتجاهيهما متفقين متآلفين ، فقضيا فى رياستهما سبع سنين ونيفاً

وكان بيت رضوان يتألق بالأنوار الساطعة ، ويخلع عليه الفن المصرى رواءه وبهاءه ، وتجتمع فى أبهائه هامات العصر من الأدباء والعلماء ، وقد كان عصر حينئذ فى الحق أدباء وعلماء ، على رغم من يتهم هذا العصر بالظلمة والانحطاط

هناك على ضفة الخليج المصرى اشترى رضوان داراً من أحد أكابر التجار ، كانت واقعة على بركة الأزبكية ، وموضعها اليوم ما يلى حديقة الأزبكية وميدان الأوبرا . وكانت تلك البركة إذ ذاك متنزهاً من متنزهات القاهرة المحبوبة ، تحيط بها بيوت أعيان التجار والأمراء . وكان للأمير رضوان فوق ذلك فى الناحية الشمالية الغربية من هذه البركة منظرة بديعة تطل من الغرب على الخليج الناصرى ، ومن الجنوب على بركة الأزبكية ، ومن الشمال على بركة أخرى استحدثها الأمير بتوسيع مجرى الماء فى الخليج القاهرى مما يلى قنطرة الدكة . وقد نسق الأمير قصره به أبدع تنسيق ، وجعل لها حدائق فسيحة نقل اليها بديع الزهر والشجر ، وأقام فى أركانها الجواسق الجميلة . وجعل فى جوانب الحدائق مما يلى البركة قناطر لتجري المياه من تحتها ، واتخذ فوق تلك القناطر مجالس للنزهة والاسترواح . وأما داخل القصور فكانت القباب العالية المحلاة بذوب العسجد ، واللازورد ، والزجاج الملون ، وقد نقشت أعاليها وأسافلها بأروع النقوش وأدقها . وكانت الأنوار تسطع فى هذه القباب فى أثناء الليل فتكاد تخطف الأبصار من بهائها ورونقها

وفى هذه الأبهاء التى تأخذ بمجامع القلوب كان يجتمع أدباء

المصر وأعيان الملماء يتسامرون فى حضرة الأمير المحبوب ، ويتجاذبون أطراف الملح والنوادر فى حشمة ووقار لا يخرج عنهما أحد . وكان من هؤلاء أديب المصر الأعظم قاسم بن عطاء الله المصرى ، وصديقه مصطفى أسعد الدمياطى ، وإلى جانبهما جمع باهر من شيوخ وشبان ، بعضهم للجد والوقار كالشيخين الشبراوى والحفنى ، وبعضهم للفكاهة كالشيخ عامر الأنبوطى الهجاء

واجتمع مجلس الأدباء يوماً فى القصر ، وإذا بالأمير يسأل عن أحدهم فلا يجده . قال : « أين ابن الصلاحى ؟ » ولم يكد ينتهى من سؤاله حتى رد فى جانب البهو صوت جهورى ينشد :

شاق طرف السرور ظرف الربيع فتملى بحسن تلك الربوع
ما ترى الزهر ضاحكا لبكاء الـطل من در قطره بالدموع
وغصون الرياض تخلع أثوا ب التدانى على الندىّ الخليع
فأنسنا بجمع إخوان صدق زان طبع الوفاء قدر الجميع
ياصلاحى أرح فؤادك والبس من بشير اللقا قميص الرجوع

فالتفت الجلوس كلهم نحو القادم فاذا هو الذى كان يسأل الأمير عنه ؛ وصاح الشيخ عامر قائلا : « لقد ذكرنا القط ... » فضحك الجمع ولم يمتنع عن الضحك الأمير ، وجلس الأدباء بعضهم إلى بعض فى أنحاء البهو الأعظم من قصر رضوان ، وجلس الأمير على سرير عال من آيات الفن المصرى ، جوانبه من الخشب المخروط ، تكتنفه وتتخلله رسوم من العاج والآبنوس والصدف ، وقد كُسيت جوانب السرير بالحرير الملون البديع ، تتغير ألوانه فى ضوء المصابيح المتألقة كما تتغير الألوان إذا وقع الضوء على رقاب الحمام القرمزى الداكن .

واتجه الأمير إلى الأديب الأكبر ابن عطاء وأقبل عليه باسما وقال له : « ماذا جئت به اليوم يا ابن عطاء ؟ لقد رأيتك بالأمس تسير بين أشجار البستان ، فقلت فى نفسى لابد أنك متحفنا اليوم بشىء جديد » .

فابتسم الأديب وقال : « الحق ما تقول أيها الأمير ، دامت نعمتك ، وأقر الله أعيننا ببقائك وعلو دولتك »

فقال له الأمير : « إذن فهات ، وقد أحضرت لك الشيخ عامر الأنبوطى عمداً »

فصاح الأديب ابن عطاء وهو باسم وقال : « أعوذ بجاهك منه أيها الأمير ! »

فصاح عند ذلك الشيخ متدخلا فى الحديث « وماذا تخشى يا ابن عطاء ؟ أليس لكل منا فنه ؟ »

فنظر إليه ابن عطاء وهو باسط يديه ببسطة الرجاء وقال : « لقد عذت بكنف الأمير من لسانك ، فدونك سواى إذا شئت »

فقال الأمير ضاحكا : « إذن أنا مجيره منك يا شيخ عامر »

وضحك الشيخ عامر وقال : « إذا شئت أيها الأمير ، فلقد والله قضيت الليلة الماضية أشحذ لسانى وذهنى لنزاله . وقد والله فوّت علىّ فريستى »

فضحك النّدىُّ وأنصت بعد لأى لمدحة الأديب ابن عطاء :

فأنشأ يقول :

بكت بدمع الطل عين النرجس فأضحكت ثغر الأقاح الألعس

واستمر فى مزدوجته يصف البستان حيناً والماء حيناً . فيقول منها :

حديقة بها السرور محدق جدولها مسلسل منطلق
فى جوه نجم الزهور مشرق والبان ظله غدا يسترق
من وجنة الماء احمرار الورد

ثم تخلص إلى ذكر الحب على سنة الأقدمين من الشعراء ، وتخلص من ذلك إلى مدح رضوان فقال :

دع علة التعليل بالأمانى واقصد حمى الموصوف بالأمان
وانف لباس البؤس والأحزان واسأل عن النعيم من رضوان
سَلْ ما تريد ، لا تخف من رد
مليكنا جلت لنا أوصافه لم يبد فى غير العطا اسرافه
ضياؤه قرت به أضيافه تفعل فى جيش المدى أسيافه
ما يفعل الصرصر يوم الحصد

إلى أن أكمل مدحته بين اهتزاز الأمير واعجاب السامعين ، لولا ابتسامة عابثة من الشيخ عامر وهو ينظر إلى الأمير .

فقال له الأمير : « وما تستطيع أن تقول فى هذا ياشيخ المهجائين ؟ »

فقال الشيخ : « لا أقول فى هذا شيئاً مادام فيه ذكرك ومديحك أيها الأمير : ولكنه لو لم يستمذ بك وجدنى قائلا »

فتحرك الأديب ابن عطاء حركة غضب وأنفة وقال :

« أيسمح لى الأمير أن أرد عليه جواره إلى حين ، لا حرمنى الله جوارك ، فان هذا الشيخ قد ظن أننى أتوارى منه ضعفاً » ؟

فتبسم الأمير وقال : « نازله بقصيدة أخرى جديدة إذا شئت »

فصاح الشيخ عامر وظنها فرصة فى ابن عطاء فقال : « أصبت القصد لا زلت موفقاً أيها الأمير »

فاهتز ابن عطاء وقال : « نعم إذا شئت أيها الأمير ، إن عفوى خير من اعدادى ، وإذا شئت قلت »

فأذن له الأمير وتطلع الحاضرون إلى الأديب يظنون أنه سيسف ويتعرض لطمنات منازله الهجّاء . فقال ابن عطاء :

ترك الهجرَ ووافى كرما بعد ما كان لمهدى قد نسى
أهيف القد كغصن عَلِيا من نسيم الروض فنّ الميَس

فاهتز الأمير وقال : « هيه يا ابن عطاء ! »

فسرتْ فى الشاعر هزة جديدة واستمر يقول :

مفرد فى الحسن ثنى معجبا ألف القد بشكل حسَن
غصن بان هزه ريح الصبا خده يزهو على الورد الجنى
ساحر الجفن أرانا عجباً أسره للأسد حال الوسن

وما زال بالسمط وراء السمط ، والعقد من بعد العقد ، حتى تخلص إلى مدح الأمير على عادته إلى أن ختم موشحه قائلا :

كفّه الغيث على الناس همى فأعاد الخصب بعد اليَبَس
أصبح الدهر به مبتسماً وهو فى فيـــه محل اللعَس

فنزل اليه الأمير من سريره وعانقه وقال له : « بمثلك تزدان مجالس الملوك يا ابن عطاء ، ووالله لو لم أجد من المال إلا قوت يومى لما وجدت له محلاً أحب الى من إهدائه اليك »

ثم التفت الى الشيخ عامر وقال :

« لقد أنطقه الولاء أيها الشيخ فماذا تستطيع أن تقول ؟

فقام اليه الشيخ الهجاء وقبل رأسه وقال :

« يا أمير الشعر قد دِنّا اليك »

فصـاح الشيخ مصطفى اللقيمى الدمياطى من جانب المجلس وقال :

« أما الأمارة فلا نراها فى الشعر . إن هى إلا فى تلك السياسة ، وهذه الدولة والرياسة . فدع عنك التعرض لهذا ، فما أظنك مصيباً من الجائزة شيئاً »

فضحك الحاضرون شماتة فى الهجّاء الذى لم يترك من أهل الشعر ولا من أهل العلم أحداً إلا وتره وحرك حقده.

وكان الشيخ الهجاء قد انكسر عند ذلك ، غير أنه لم يرض أن يترك دأبه من الوخز فقال ناظراً الى الشاعر الآخر :

« وما لك أنت ؟ لكأنى بك قد تحركت غيرتك . غير أنك لست بمستطيع اليوم أن تقول شيئاً . فقد ملك اليوم ابن عطاء » . فقال الأمير مدافعاً عن الدمياطى :

« ومالك أنت به يا شيخ عامر ؟ أنسيت مدحته العظمى ؟ أنسيت مدامته الأرجوانية فى المقامة الرضوانية ؟ لقد ينقطع عمر الكثيرين دون مثلها »

فقال الشيخ عامر ولم يثنه دفاع الأمير :

« إن هى إلا بيضة الديك » وأشار الى الشاعر ، ثم صاح كما يصيح الديكة فضحك الجلوس من كلمته وصيحته . واحمر وجه الشاعر الدمياطى ، وقال غاضباً :

« لو شئت الهجاء لهجوتك ، ولكنك أقل من أن أهجوك ، فاسمع إذن مدحتى فى زين الملوك وأقر بعجزك وصغارك »

ثم اندفع يقول :

بشرى الربيع لقد وافت بشائره وفاح دونك فى الآفاق عاطره
ومالت القضب بالأطيار مطربة وقد تبسم من عجب أزاهره
فسر مقدمه الحالى أخا شجن يهيجه من معانى الدوح ناضره

ثم أوغل فى وصف الربيع وزهره ونسيمه وعطره ، فأبدع وأطرب إلى أن تخلص من وصفه الممتع إلى مدح الأمير فقال :

والزهر من فرح أهدى التشاورها لما سبا الورد واستعلت مظاهره
حكى بمنظره الحالى ومخبره صفات رضواننا السامى زواهره
أمير مجـــد لنا تتلى مدائحه مدى الزمان كما تروى مآثره
تخاله الليث والمريخ فى يده إذا بدا جائلاً والسيف شاهره
روض نضير ولكن مثمر أبدا غيث ولكن ندى عمت مواطره

وما زال ينتقل فى ذلك المدح من معنى إلى معنى إلى أن قال :

خذ من زمانك ماأغناك متتنما وأنت ناه لهـــذا الدهر آمره
ودم بروض العلا والمزمنبسطاً عطربات الهنا يشدوك طائره

فصفق الأمير طرباً عندما بلغ الشاعر ذلك ، وصاح بالشيخ عامر يقول :

« عزمت عليك يا شيخ إلا ما قمت إليـه وقبلت رأسه كما فعلت بالأديب ابن عطاء ، فما هو بدونه مرتبة فى الشعر ولا فى الولاء . ولكم جميعاً منى أسنى جائزة »

فقام الشيخ إلى الشاعر وقبل رأسه وهو يقول :

« وما لكم لا تشكرون لى وخزاتى . أيها الأمير أ كنا نظفر منهما بهاتين الدرتين بغير وخزات لسانى ؟ »

فضحك الأمير والحاضرون منه وقال رضوان :

« أتذكر البيت القديم يا شيخ عامر ؟ لقد قلته لى منذ أيام فلولا أن النار تحرق ما حولها ما شم أحد رائحة ا . . . . »

فقال الشيخ منشداً البيت :

لولا اشتمال النار فيما جاورت ... ما كان يُعرف طيب عَرف العود

فقال الأمير « هو هذا . هو هذا . لقد حفظت معناه ولكنى لا أقوى على حفظ لفظه . » ، ثم نظر إلى مملوك واقف إلى يمينه ، وقد وضع يديه على صدره تأدباً وقال له :

« يا محمود ، اذهب إلى خازندارى ، وبلغه أمرى باحضار ما اعتدت بذله فى مثل هذا اليوم »

ولم يخرج أحد من الحاضرين فى ذلك المجلس بغير ما يرضيه ، غير أن الشيخ الحفنى أبى أن يأخذ شيئاً من الأمير ، بل قبل الأمير يده وسأله الدعاء ، وخرج الشيخ الوقور وهو يدعو للأمير بالتوفيق والهداية »

وكان الشاعر ابن الصلاحى فى كل ذلك متواضعاً ساكناً لم يثر لغيرة ، ولم يتقدم لمنافسة ، بل كان يطرب كما يطرب الحضور ويعجب كما يعجبون ، ولما أوشك عقد الجمع أن ينفرط رفع عقيرته فأنشد مرتجلا :

يا مساء السرور كيف اختلسنا ... فيك أنسا كأنما هو شك

قد أنسنا فى فتحه بالتدانى ... ودهانا ختامه وهو مسك

ثم سار وهو يقول مرتجلاً :

إلى القبة الفيحاء سرنا فسرّنا ... ربيع المنى فى ثغرطلعتها الفَرّا

أنسنا بهـا من كل بدر ولا نرى ... عجيباً طلوع البدر فى القبة الخضرا

فنظر إليه الأمير رضوان مبتسماً وقال : « هيه يا ابن الصلاحى لقد فوّت علينا الليلة بغير إنشاد منك » فقال الشاعر باسماً وهو ناظر إلى الأرض « دمت للملك يا مليك الزمان فالعود أحمد » ، ثم حيا الأمير وسار فى أثر صحبه خارجاً

محمد فريد أبو حديد

الغزو الاقتصادى اليابانى

لأسواق العـالم

وأثره فى الاقتصاد المصرى

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تتمــــــة

استطاع الغزو الاقتصادى اليابانى أن يحدث أثره فى معظم الأسواق القديمة بسرعة مدهشة . وقد قال مسيو هيروتا وزير الخارجية اليابانية فى إحدى تصريحاته الأخيرة إن هـذه النهضة الصناعية والتجارية التى تضطلع بها اليابان إنما هى ثمرة العمل والمثابرة ، ولا تعتمد على وسائل غير شريفة ، وليس وراءها أية نزعة عدائية . وقد بينا فى مقالنا السابق طرفاً من الظروف والأحوال الاقتصادية المشجعة التى تعمل فيها الصناعة اليابانية ، ولكن اليابان لا تستطيع بمثل هذه التأكيدات أن تهدئ ما يثيره غزوها الاقتصادى فى معظم الدول الصناعية والتجارية من عوامل الخوف على مستقبلها الاقتصادى . ويجب أن نذكر أن النفوذ الاقتصادى إحدى الوسائل القوية التى يعتمد عليها الاستعمار الغربى فى توطيد نفوذه وسلطانه فى أفريقيا وآسيا ، وأنه يكون غالباً طليعة الفتح السياسى وذريعته ، فاذا اضطربت دعائم هـذا النفوذ الاقتصادى ، اضطربت دعائم السيادة الاستعمارية التى تقوم عليه ؛ والتحرير الاقتصادى دعامة قوية للعمل فى سبيل التحرير السياسى . فالدول الاستعمارية التى يزعجها الغزو اليابانى لا تقف فى مقاومته عند تقدير الاحتمالات الاقتصادية وحدها ، ولكنها تنظر الى آثاره من وجهة أشد خطراً وأبعد مدى وهى وجهة مستقبلها الاستعمارى

ولا ريب أن بريطانيا العظمى فى مقدمة هـذه الدول ، بل هى أولها وأسبقها الى التأثر بهذه المنافسة الخطرة التى تهدد نفوذها الاقتصادى والاستعمارى فى معظم أرجاء امبراطوريتها الشاسعة ، وتخلق لها مشكلة امبراطورية فى منتهى الخطورة . ذلك أن بريطانيا العظمى تستمد كثيراً من أسباب غناها وقوتها وعظمتها من نفوذها الاقتصادى وتفوقها الصناعى والتجارى ؛ وهذا النفوذ

الاقتصادى أقوى دعامة فى صرح سلطانهـا الاستعمارى ؛ فاذا تقوضت دعائم هذا النفوذ اضطرب بناء الامبراطورية كله . وبريطانيا تشعر اليوم بأن تقدم الغزو الاقتصادى اليابانى بهذه القوة المدهشة يعرضها لمثل هذا المأزق الدقيق ؛ وتشعر باقى الدول الاستعمارية مثل فرنسا وهولنده وإيطاليا ، بأنها تواجه نفس الخطر ؛ وترى الولايات المتحدة أسواقها القديمة فى أمريكا الجنوبية تفلت من يدها لتذهب الى قبضة منافستها الأسيوية ؛ وتعمل الدول الغربية جميعاً لرد هذا الغزو كل بوسائلها الخاصة ، وقد نراها غير بعيد تحاول رده بوسائل مشتركة إذا عجزت عن مقاومته منفردة كما حاولت أيام غزو اليابان لمنشوريا وتقدم الاستعمار اليابانى فى الصين

وقد يكون الغزو الاقتصادى اليابانى من هذه الناحية أعني من ناحية العمل على تقويض نفوذ الدول الغربية الاقتصادى فى أفريقية وآسيا وإضعاف سلطانها الاستعمارى بذلك ، خليقاً بعطف الأمم الشرقية وتأييدها ، خصوصاً وأنه لا يبيت وراءه مطامع استعمارية ، — واليابان تقف بأطماعها الاستعمارية عند الصين وسيادة الباسفيك — ، وهو خليق بعطف الأمم المغلوبة بقـدر ما يحدث للأمم الغربية الغالبة من صعاب ومتاعب تفت فى بنائها الاقتصادى وسيادتها الاستعمارية ؛ ولـكن العطف على جهود اليابان من هذه الناحية العامة ، يجب ألا يحول بيننا وبين تقدير العوامل والآثار الاقتصادية الضارة التى تترتب عليها من الوجهة المحلية ؛ وما يعنينا قبل كل شىء هو بحث هذه الآثار فى اقتصادنا المصرى ، فقـد أخذت طلائع الغزو اليابانى تحدث أثرها فى السوق المصرية بسرعة ، وتثير من العوامل والاحتمالات ما قد يعرض مستقبلنا الاقتصادى الى أخطر النتائج إذا لم تتخذ الوسائل اللازمة لتوطيده وحمايته

ذلك أن محصول مصر الرئيسى ونعنى القطن يرتبط أشد الارتباط فى انتاجه وفى تصريفه بصناعة القطن البريطانية ؛ هذا ومن جهة أخرى فان فى مصر الآن صناعات قطنية هامة يجب حمايتها وتشجيعها على التوسع والنمو ؛ والصناعة القطنية اليابانية تتقدم بسرعة ويحدث هذا التقـدم أثره السىء فى الصناعات القطنية البريطانية التى تستهلك أعظم كمية من القطن المصرى ؛ ومن الغريب أن اليابان مع كونها لا تنتج سوى قليل من القطن الردىء ، استطاعت أن تتقدم فى الصناعة القطنية حتى أصبحت فى انتاجها ثالثة دول العالم بعد الولايات المتحدة وانـكلترا ؛ ويبلغ ما تصـدره اليابان من البضائع القطنية نحو ٢٠٪ من مجموع صادراتها ، واليابان تستورد كميات عظيمة من القطن الردىء من الهند والولايات المتحدة ولا تستورد سوى كمية ضئيلة من القطن المصرى . وقد بلغت قيمة ما استوردته فى سنة ١٩٣٠ من القطن فقط ٣٦٢ مليون ين (نحو ٢٤ مليون جنيه)

ولـكى يستطيع القارىء أن يقدر مدى تقدم التجارة اليابانية فى مصر نضع أمامه الأرقام الآتيـــة عن قيمها فى الأعوام الأربعة الأخيرة :

سنة	١٩٣٠	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
ج.م	١,٧٣٢,٠٧٧	١,٥٣٥,٢٨٢	٢,١٥٢,١٤٠	٢,٨٧٣,١٣١

فى أقل من عامين زادت الصادرات اليابانية إلى مصر نحو ٤٠٪ ، وأصبحت التجارة اليابانية فى مصر سنة ١٩٣٣ تعدل نحو ١٢٪ من مجموع تجارة مصر الخارجية (وقد بلغ فى هذا العام ٢٦,٧٦٦,٩٩١)

وتمثل البضائع القطنية والحريرية أكبر نسبة فى الصادرات اليابانية إلى مصر ؛ وقد نمت نسبة الصادرات القطنية بسرعة مدهشة فى الأعوام الثلاثة الأخيرة كما يتضح من البيان الآتى :

مقدار ماورد إلى مصر من البضائع القطنية والحريرية اليابانية مقدراً بالجنيه

سنة	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
بضائع قطنية مختلفة	٧٦١٬٢٣٤ ج.م (تقريبي)	١٬٦١٠٤٬٦٧٣	١٬٨٣٤٬٨٧٧
« حريرية »	......	٦٢٦,٨٧٤	٥٠١,٩٢٠

ومن ذلك يتضح أن الصادرات القطنية اليابانية إلى مصر بلغت نحو ثلاثة أمثالها فى ظرف عامين ؛ ومن المحقق أن هذه النسبة قد ارتفعت فى العام الحالى (الذى لم ينته بعد) وسوف ترتفع باطراد إذا استمرت الأمور على حالها

وقد كانت منتوجات لانـكشير (انكلترا) القطنيـة حتى أعوام قلائل تحتـل المكان الأول فى مصر ، كما أن لانـكشير أكبر عميل لمصر فى شراء قطنها ؛ ولـكن المنافسة اليابانية كانت شديدة الوطأة على الصناعة القطنية البريطانية فى مصر والهند

وفى معظم الأسواق الامبراطورية ؛ وقد أصابت هذه المنافسة تجارة لانكشير فى الهند بخسائر فادحة ؛ ورفعت حكومة الهند الرسوم الجمركية على البضائع القطنية اليابانية مراراً حتى بلغت ٧٥ ٪ ، ومع ذلك فان ذلك لم يحقق للتجارة البريطانية ما كانت تتمتع به فى الهند من التفوق ؛ واضطرت بريطانيا العظمى أن تجرى فى ذلك السبيل مع اليابان مفاوضات خاصة وأن تعقد معها اتفاقاً تجارياً خاصاً تحصل به على بعض المزايا نظير تحديد المنسوجات القطنية اليابانية الصادرة إلى الهند بأربعمائة مليون ياردة تحصل عنها رسوم جمركية قدرها ٥٠٪ من قيمتها . أما فى مصر فما زالت تجارة لانكشير فى انحطاط مستمر ، وقد هبطت تباعاً فى الأعوام الثلاثة الأخيرة بسرعة يوضحها البيان الآتى :

مقدار ما تستورده مصر من المنسوجات والبضائع القطنية من انكلترا

سنة	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
ج . م	١,٧٤٢,٠٠٠	١,٥٦٥,٤٦٦	١,٢٣٢,٨١١

ويتضح من ذلك أن ما استوردته مصر سنة ١٩٣٣ من البضائع اليابانية القطنية يزيد عما استوردته منها من انكلترا بنحو ستمائة ألف جنيه ؛ وأن اليابان أصبحت تحتل المكان الأول فى الصادرات القطنية إلى مصر بعد أن كانت انكلترا تحتله باستمرار

ومن ذلك نفهم مدى جزع لانكشير من تدهور مركزها فى السوق المصرى ؛ وهو جزع يبدو فيما تعلق به الصحف الانكليزية على هذا الموقف ، وفيما ينذر به أقطاب الصناعة البريطانية من وقوع رد الفعل على مصر ذاتها حيث تضطر المصانع البريطانية أن تقلل من شراء القطن المصرى إذا استمرت الحال على ذلك . وهذه هى أخطر نقطة فى الموضوع بالنسبة لمصر . ذلك أن ماتستورده مصر من مصنوعات انكلترا القطنية لا يتناسب مع ماتشتريه انكلترا من القطن المصرى ؛ وإليك مقدار ما اشترته انكلترا من قطننا فى الأعوام الثلاثة الأخيرة :

	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
ماقيمته	٦,٤٦٩,٢٠٤	٥,٥٢٧,٣٩٣	٨,٧٦٧,٢٨٠ ج.م

ويقابل ذلك ماتشتريه اليابان وهو :

ماقيمته	١,٢١٣,١٦٢	١,٠٧٨,٦٨١	١,١٦٨,٥٢٨ ج.م

فانكلترا تشترى من قطننا فى العام نحو ٤٠٪ منه بينما لا تشترى اليابان أكثر من ٦ أو ٧٪ ، ومع ذلك فان اليابان تصدر إلى مصر من البضائع القطنية أكثر مما تصدره انكلترا

والنتيجة المحتومة لذلك ، إذا استمر هذا الوضع الشاذ ، هى أن لانكشير ستضطر إلى أن تقلل شيئاً فشيئاً من استهلاكها للقطن المصرى مادامت لا تجد أسواقاً لتصريف منتوجاته ؛ وعندئذ يقع الضرر المحقق على المنتج المصرى

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان فى مصر صناعة قطنية ناشئة تضطلع بها شركة مصر ، ويوظف فيها ملايين عديدة من الأموال المصرية ؛ وقد قطعت شركة مصر لغزل القطن ونسجه خطوات كبيرة فى أعوامها القلائل وأصبحت أعظم منشأة صناعية فى مصر ؛ وهى تستهلك كل عام مقداراً كبيراً من القطن المصرى وتمد السوق المحلية بكميات عظيمة من المنتوجات القطنية المتقنة الصنع المعتدلة الثمن مع ذلك . وكان ما استهلكته سنة ١٩٣١ من القطن المصرى ٢٢,٣٠٨ قناطير فزاد فى العام الثانى إلى ٥٠,٧٧٥ قنطاراً وفى الذى يليه الى ٩٧,١٤٣ قنطاراً ، ثم زاد فى العام الماضى (١٩٣٤) الى ١٥٢ ألف قنطار . وزادت منتوجاتها من الغزل والنسيج تبعاً لذلك زيادة كبيرة حتى وصلت (سنة ١٩٣٤) إلى ١٣ مليون رطل من الغزل ، والى ٢٥ مليون ياردة من النسيج . وهى تسير بسرعة فى سبيل التقدم وتتخذ الأهبة لمضاعفة أعمالها ومشاريعها ، بحيث يتضاعف ماتستهلكه من القطن المصرى عاماً بعد عام ويتضاعف ما تنتجه من الغزل والنسج

ولكن هذا الصرح الاقتصادى العظيم يجد نفسه اليوم أمام غزو البضائع القطنية اليابانية الرخيصة للسوق المصرى ، وهو غزو يشتد أثره يوماً بعد يوم ، وتجد هذه البضائع الرخيصة فى السوق إقبالا سريعاً تشجعه وتذكيه الأزمة الاقتصادية ؛ وقد بينا كيف تعمل الصناعة اليابانية فى ظروف مدهشة تمكنها من هذا الغزو ؛ والصناعة القطنية اليابانية تستعمل القطن الردىء الرخيص ، الهندى أو الأمريكى ، فى حين أن شركة الغزل المصرية لا تستعمل سوى القطن المصرى ، لكى تعاون بذلك على استهلاكه ، وتحقق الأغراض الاقتصادية القومية التى قامت من أجلها ، فاذا استمر هذا الغزو اليابانى دون اتخاذ ما يجب لرده ،

واستمر إقبال المصريين على البضائع القطنية الرخيصة ، عرضت الصناعة القطنية المصرية لمصاعب تحد من نموها وتقدمها ، وعرضت الملايين المصرية التي توظف فيها . والأيدي المصرية العاملة التي تقوم بها ، إلى عواقب لا تحمد ولا يرضاها أي مصري

وما نريد أن ننوه به بنوع خاص ، هو أن الأمر هنا لا يتعلق بالناحية القومية والواجب القومي في تشجيع الصناعات القومية ، ولكنه يتعلق باعتبارات اقتصادية خطـــيرة . ذلك أن هذه المنسوجات الرخيصة تستهلك لرداءتها بسرعة ، في حين أن المنسوجات الجيدة التي تنتجها الصناعة المصرية من القطن المصري تمتاز بالمتانة وبطول استعمالها ، فهي بذلك أجدى وأوفر على المستهلك الذي يقدر مصلحته الحقيقية . هذا ومن جهة أخرى فإن الصناعة المحلية تستهلك قطناً مصرياً ، وتعاون المنتج المصري بذلك على تصريف أقطانه ، فإذا لم يعاونها المصريون من جهة أخرى باستهلاك منتوجاتها ، فإنها تعجز عن المضي في تحقيق هذه المعاونة الاقتصادية الجليلة

ولهذا كله يجب على مصر أن تفطن لما يهدد مستقبلها الاقتصادي من جراء هذا الغزو المفاجئ ، وأن تبحث في وسائل الحماية السريعة لصناعاتها الفتية . وعبء هذه الحماية يقع على عاتق الحكومة والأمة معاً . فأما الحكومة فمن واجبها وفي مقدورها أن تلجأ الى مضاعفة الحماية الجمركية لتحمي المنتوجات المحلية من هذا السيل الدائم ؛ على أن هذه الحماية وحدها لا تكفي كما أثبتت التجارب الأخيرة في مصر وغير مصر ؛ وإنما يجب أن تقرن في الوقت نفسه بمعاونة الأمة وتفضيلها للمنتوجات القومية على سواها ؛ وهي بهذه المعاونة لا تحقق واجباً وطنياً فقط ، وإنما تخدم في الوقت نفسه مصالحها الاقتصادية .

محمد عبد الله عنان
المحامي

مجموعات الرسالة

ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٣٥ قرشاً
ثمن مجموعة السنة الثانية (المجلد الأول والمجلد الثاني) ٧٠ قرشاً
وثمن كل مجلد من المجلدات الثلاثة خارج القطر ٥٠ قرشاً

حول ١٩ ينـــاير

للأستاذ محمد محمود جلال

اليوم تبحر من السويس إحدى الجواري المنشآت في البحر علماً على تقدم العلم وتسخير القوى ، تقل الرهط الكريم من رجال الزراعة والاقتصاد إلى بور سودان . وكنت أعد لتلك الرحلة عدتي ، حتى حالت فجأة ظروف قاهرة دون ما تعلقت به الأمنية . فاليوم ندعو الله أن يقرن التوفيق بخطاهم ، ونسجل لهم هذه اليد سابقين إلى الاعتراف سبقهم إلى خير العمل

ولعل هذه الرحلة الموفقة باذن الله أولى الخطى ، ولعلها بداية حزم ترقبه البلاد من قديم ، فتليها خطوات في مختلف ميادين السعي المجدي ؛ ولعلها بادرة التنبه ، ولعل الله جل شأنه حين قدر لها شهر يناير موعداً قد أراد أن يسدل على التقصير من ستره ، وأن يكون في المستقبل ما ينفض عن الماضي الغبار

فلقد مر « ١٩ يناير » وكأن لم يلحظه أحد ، فلم نر لذكراه إلا سطوراً نشرت بالأهرام من هيئة واحدة ، هي هيئة الحزب الوطني ؛ حتى لكأنه يوم عبر كسواه ، وكأنه ليس ذلك اليوم الذي أمسى على غصب صارخ ، وتفريق مروع ، وعبث من القوة بالحق عبثاً لم يرو التاريخ له مثيلاً

وبين « بور سودان » على البحر الأحمر و « بور سعيد » على البحر الأبيض صحيفة من المجد كاد يطويها الزمان لولا كفالة التاريخ ، وكوامن من الذكريات والعبر من حق الجيل الجديد علينا أن نبسطها وننشرها ، ومن واجب الأدب المصري أن يبذل لها أثمن بضاعته وأغلى جهوده . فلم يزل الأدب منذ القدم قواماً على الواجب والفضيلة ، يتحسس مواضعهما ، ويخرجهما في خير الثياب وأصدقها غذاءً للأمم في حياتها ، وإيقاظاً للهمم فيما تحاول من تصحيح وتهذيب

واذا كان الشطر الأول من الاسمين أعجمياً دخيلاً ، ففي الشق الثاني من كليهما شفاء ورحمة للمؤمنين

فالمرحوم (سعيد باشا) عزيز مصر أصبح في التاريخ — وبعد أن خلقت سياسة الانجليز (حادثة وادي حلفا وتفتيش الجنود) فاضطرت الخديو عباس الثاني إلى العودة الى القاهرة — آخر من

زار (الوجه السودانى) من ملوك مصر

وقد زخر التاريخ الحديث بفيض من خير الأنباء عن زيارته ، فأينما حل كان الاستقبال حافلاً ، صادراً من القلوب لا أثر فيه لرياء ولا مصانعة ؛ وحسبك من قرة عين المليك أن يرى أبنية شاهقة وطرقاً ممهدة وادارة مستقرة حازمة ، تعاونت على تأسيسها وتمهيدها وإقرارها أياد من أقاليم الوجه البحرى ، وأخرى من الوجه السودانى ، وثالثة من الوجه القبلى

ولعله رحمه الله أراد أن يختبر ذلك البناء المنوى المدعم ، ويشهد العالمين — وفى مقدمتهم تناصل الدول — حين أشاع عزمه على إخلاء السودان من بنى الوجهين البحرى والقبلى ، فهب أبناء الوجه السودانى فى ألم وحيرة يرجون ويلحون فى أن يعدل عن فكرة تنافى طبيعة الوجود . فآمن بأساس ملكه وحصل على ما أراد من التجربة

وإنى لأذكر فى ألم ومرارة كيف أصبح مجلس النواب بالقاهرة خلواً من أبناء السودان وقد كانوا زينة المجالس الأولى ؛ فقد كان الوجه السودانى ممثلاً بعدد يوازى نواب الوجه القبلى

وفى عام ١٩١١ أبان المرحوم (أيانا باشــــا) رئيس الجمعية الجغرافية فى بحث له بالمؤتمر المصرى أن مقارنة العظام التى عثر عليها فى المقابر تثبت أن الذين يقطنون وادى النيل من عنصر واحد

ثم انظر بعــد ذلك تلق الوحدة فى اللغة وتلقها فى الدين وتجدها فى العرف كما تجدها فى العادات

ولــكنك حين تبحث فى القاهرة وهى قلب البلاد تأخذ قلبك حسرة لاذعة . فلست تجد فيها بين مظاهرها المختلفة مظهراً واحداً يدل على تلك الوحدة الطبيعية ويشير إلى هذه الروابط الوثيقة

بين ظهرانينا نخبة من الشعراء ، سجلوا كثيراً من الحوادث ذات البال ، حتى امتد فضلهم إلى شؤون تبعد عن مصر ، وقد خلت دواوينهم من ذكر السودان وشؤونه ، بل لم تنوه قصيدة بتلك التجربة التى قام بها المرحوم سعيد باشا ، وفى عرفى أنها وحيدة فى التاريخ الحديث

أعرف أن المنظر والمعاشرة أكثر العوامل إيحاء . ولــكن التاريخ ما يزال للــكثير من الــكتاب والشعراء مصدر وحى من أغزر المصادر . يتناول الفريقان من كأسه دهاقاً من روعة وفيضاً من غذاء

بل إن الروعة المنوية لحادث كبير أو تصرف حصيف ، أو خلق كريم ، لتــكون فى كثير من الأحيان أوفر مادة وأكرم أثارة من مظهر مادى

وإذا كانت الجزيرة ببساتينها وقصورها ، والروضة بمحافل تاريخها ، والأزهر الشريف بماضيه ، تأخذ باللب وتاهم القائل ، ففى جزيرة السودان ، وفى غاباته ، وفى منابع النيل السعيد الــكريم ، وفى مجارى مياهه الأولى ورواند مسمة للفــكر والقول ، وأى سمة ؟

لقيت فى إحدى سفراتى ضابطاً شهماً أقام بالسودان ، أخذ يحدثنى عن رحلات قام بها فى ربوعه ، والضابط أقرب الناس إلى اختصار القول وأبعدهم عن زخرفه ؛ ومع مابينى وبين ما يصف من شقة بعيدة ، فقد ظللت طوال الرفقة أخيذ القلب بالصور الرائعة يعرضها واحدة تلو أخرى حتى دونت منها كثيراً ، وحتى تمنيت لو كنت شاعراً فأصوغها نظماً أقوم به ببعض الواجب نحو بلادى

وكم يكون من خالص التوفيق أن تدعو «الرسالة» إلى رحلة فريق من الأدباء فى العام القادم ، يصلون ما انقطع فى عالم الأدب

* * *

ثم انظر بعــد ذلك الى المسارح ! ! فلن تجد رواية حدثت وقائعها بالسودان . بل إنك واجدها حافلة بالمناظر الأوربية ، وبكثير من مناظر القاهرة وبعض القرى ، دون أن يحظى بصرك بمنظر واحد يمثل لك الخرطوم قائمة شاهقة على الأنهر الثلاث ، ولا منابع النيل تدنى إليك حقيقة الأواصر فى الوحدة المباركة ، ولا مثال الشجاعة وكرم الخلق الذى تسير على نوره الركبان

إنا حين نقول فى أدبنا القوى عن أهل الوجه البحرى ، إنهم أولو ذوق سليم ، وعن الوجه القبلى إنه موطن الــكرامة والــكرم وجب أن نقول عن أهل الســودان إنهم أهل الوفاء والشجاعة

كان الأمير (على بن دينار) ممتعاً بكثير من مظاهر الحــكم ، وليس أغنى من الانجليز ولا أسخى منهم يداً وقت الحرب ، وهم المسيطرون حواليه ، ولــكن ذلك لم يكن مغرياً له ، فهو لم يفتأ يذكر أنهم نكبة وادى النيل وهو منه ، فما ثار إلا عليهم وفاء لحق النيل وواديه ، وظناً منه بسنوح الفرصة

وفى السودان علماء ، وذكاء أهله غير منكور ، ولا نعرف فى العاصمة عنهم إلا قليلاً ، حين تذكر الصحف قدوم بعضهم للاستشفاء أو لتبديل الهواء ، ومن واجبنا أن نبحث عن مؤلفاتهم وأن نتناولها بتعليق يجمل من الأمتين فى العالم الأدبى كتاباً واحداً ؛ ولاشك أن فى السودان شعراء ، فما زلنا نحس بأقوال «سر الختم»

و « على عبد اللطيف » فى محاكتهم سنة ٢٤ ، روح الشاعرية ممزوجة بالوفاء والشهامة . ومن واجب صحفنا وجماعاتنا الأدبية أن تبحث بما أوتيت من وسائل الصحافة عن تلك الكنوز

ليقم الأدب وجماعاته وصحفه بهذا الواجب ، وليس العيب أن يكشف الزمان عن نقص ولا أن نعترف بالنقص ، ولكن العيب أن نقعد عن تلافيه

ولنقل من اليوم : الوجه البحرى ، والوجه القبلى ، والوجه السودانى . وليس عند الله جهد ضائع ، ولكن فى الدنيا كل مضيع

محمد محمود جبريل

النزعة العملية

فى الأدبين العربى والانجليزى

للأستاذ فخرى أبو السعود

من الطريف والمفيد معاً ألا نزال نوازن بين الأدب العربى والأدب الانجليزى فى شتى النواحى ، فان هذين الأدبين لاختلاف ظروفهما يختلفان كثيراً وقلما يتفقان ؛ والموازنة بين وجوه اختلافهما المديدة – ووجوه اتفاقهما إن كانت – تلقى ضوءا على مختلف الظواهر فى كليهما ، وتبرز شتى الأسباب والمسببات فى تاريخهما ، وقد قيل : وبضدها تتميز الأشياء

وأعنى بالنزعة العملية فى الأدبين اتصالها بالحياة اليومية والاجتماعية والسياسية والوطنية ومساهمة أقطابهما فى تلك الشؤون ، والأدبان هنا أيضاً على طرفى نقيض : فالنزعة العملية تسود الأدب الانجليزى من أقدم أيامه ، وهى تزداد باطراد عصراً بعد عصر ، بينما هى تكاد تنعدم فى الأدب العربى ؛ وما كان منها فى صدر تاريخه قد تضاءل بكرّ العصور

فالانجليز بطبيعتهم العملية لم يترددوا فى زج الأدب فى غمار الحياة العملية والاستعانة به فى شؤونها ، وأدباؤهم لم يحجموا عن الأخذ بحظهم من أشغال الدنيا ومخاطراتها ، أما العرب فعلى عظيم منزلة الأدب لديهم وشدة احتفائهم به ، كان أدبهم دائماً بواد والحياة العملية بواد ؛ وكان فناً نظرياً محضاً من توفر عليه انقطع عن غيره وعاش فى عالم من الحفظ والرواية والتاريخ والتصنيف

فكان من أدباء الانجليز من ضربوا بسهم فى الفن والعلم والدين والحرب والكشف الجغرافى وكبار وظائف الدولة ، ولهم مع ذلك مؤلفاتهم الشعرية والنثرية المعبرة عن خوالجهم النفسية ونظراتهم فى شؤون الحياة مستقلة تمام الاستقلال عن وظائفهم فى الحياة العملية أو متأثرة بها ، ومن أولئك سبنسر وبيكون ورالى وبنيان وسدنى سميث ودزرائيلى

ومنهم من شاركوا فى التقلبات السياسية فكانوا دائماً فى صف الحرية وفى جانب الشعب ، ولم يستظل منهم إلا القليل بلواء الملكية ابتغاء السلامة والغنيمة . وممن ضربوا بسهم فى هذا الباب توماس مور مؤلف « اليوتوبيا » الذى قطعت الزبانية يده لدفاعه عن حرية الشعب الدينية ؛ ويقال إنه بعد قطع يده رفعها هاتفاً بحياة الملك لأنه كان يحب ملكته الباسلة ، ولكنه كان أكثر حباً للحرية والشعب . ومنهم ملتون الذى أيد الجمهورية فى ظل كرومويل وعمى بصره فى الدفاع عنها أمام أنصار الملكية

ومنهم من اضطلعوا بعبء الاصلاح الأجتماعى الأخلاق عقب الفساد الذى تركته الملكية العائدة من فرنسا بعد موت كرومويل ، وإديسون ، وستيل بطلا هذا الأصلاح الناجع الفريد فى بابه . ومنهم من كرس أعماله لأصلاح حال العمال عقب التطور الصناعى وزعيمهم دكنز ، أو لأصلاح القانون الجنائى ومعاملة المسجونين تمشياً مع عصر النور والحرية ، ومن أولئك جالزوردى . ومن الأدباء الفكتوريين من صرف همه الى ترقية الجمهور والذوق العام بالمحاضرة عن الفن والأدب ، وكبير هؤلاء رسكن . وزادت هذه النزعة الأجتماعية الأصلاحية بتشعب نواحى الحياة حتى طمت فى عصرنا الحاضر

بل كان من أولئك الفكتوريين جماعة خاضوا ميدان الصناعة والتجارة ، فأنشأوا شركة لصنع الأثاث ، وكانوا يرسمون تطريز الأثاث بأنفسهم ، إذ ساءتهم الطرازات الشائعة فى عهدهم ؛ وأنشأ أحدهم وهو الشاعر المصور وليم موريس مطبعة ومعملاً للحبر لكى يطبع كتبه على النمط الذى يختاره وبالحبر الذى يفضله

بل كان من أدباء الأنجليز من عاف الاجتماع الانسانى قاطبة ونقم على أنظمة الملكية والكنيسة ، وحاول إنشاء مجتمع جديد تسود فيه البساطة والمساواة والأخاء ، ومن هؤلاء شعراء عهد الثورة الفرنسية ؛ فالكتاب الفرنسيون الذين مهدوا لتلك الثورة

أمثال روسو وفولتير اكتفوا بالعمل النظرى وتركوا التنفيذ لغيرهم ، أما معاصروهم ومن جاء بعدهم من الأدباء الأنجليز فحاول كثيرون منهم تنفيذ العمل بأنفسهم . وقد انتقل شيلى إلى إيرلندة ثم إلى أوربا لانشاء مدينته الفاضلة ، وإن يكن قد منى بالفشل فى الحالتين ؛ وعاضد وردزورث الثورة الفرنسية بقوة لمبادئها بمبادئها المعروفة حتى نقم على دولته إعلانها الحرب على فرنسا الثائرة ، وكاد ينتظم فى أحد أحزاب الثورة ، ويركب تيارها الخطر

أولئك بعض رجال العمل من أعلام الأدب الانجليزى المساهمين فى الحياة الاجتماعية بفكرهم وبجهودهم ، وما نخالنا واجدين مماثليهم بين أعلام أدبنا : فقد كان من يتوفر على الأدب من أبناء العربية ينصرف كما تقدم عما عدا الأدب ، ويقصر أدبه على التعبير عن خوالجه الفردية وذكر مآربه وحبه وشرابه وغضبه ورضاه ونعيمه وشقائه ، ويكاد لتوفره على الأدب لا يجد قوت يومه إن لم يكن له مورد سهل ، ويضطر إلى التقرب إلى مَوْلىً يمتدحه ويفوز بأعطيته ؛ وقد كان هذا من دواعى استطالة هذه الظاهرة فى الأدب العربى : ظاهرة المدح التى سرعان ما تلاشت من الأدب الأنجليزى

والقليلون من أعلام الأدب العربى الذين شاركوا فى الحياة العملية إنما صنعوا ذلك جرياً وراء مطامعهم الشخصية لا دفاعا عن مصالح أقوامهم ؛ ولذا كان أقصى همهم أن يستوزروا للحكام ، ولم يدر بخلدهم مناقشة سياسة أولئك الحكام ، وإنما ظلوا أبواقاً لهم وكتبة مجيدين ؛ ومن ثم كان ما يتصل بالسياسة من ذخائر الأدب العربى هو الرسائل الديوانية التى دبجها أولئك المنشئون على لسان أمرائهم

والمجيدون من أعلام الأدب العربى الذين ساهموا فى حياة العمل بمناهضة السلطة القائمة كقطرى بن الفجاءة مثلاً قلائل ، وكان جلهم فى صدر الاسلام ، ومن لم يفعل ذلك منهم طلباً لغاية شخصية فعله لعقيدته الدينية حين كانت العقائد الدينية مضطرمة فى الصدور

لقد كان الشعر والخطابة فى الجاهلية أداتين من أدوات الحياة العملية والسياسية فى ذلك المجتمع البدوى ، فلما جاء الاسلام كان فى أصوله شورياً يخول الرعية مشاورة راعيها ، ولكن دولته قامت على بقايا الملكيات المستبدة القديمة ، فقامت الخلافة العربية على غرار تلك الملكيات التى تجمع الأمر كله بيدها ، ولم يعد الخليفة يشاور إذا هو شاور رعياً لحق الرعية عليه بل التماساً للرأى إن أعوزه ، ولا هو كان ملزماً باتباع مشورة غيره ؛ وصار من المسلم به أن الحكم للأمير لا دخل للرعية فيه . وبدهى أن الأدب الذى ينمو فى مثل هذه الظروف يظل مكفوفاً عن شؤون السياسة كما كانت بقية الرعية مكفوفة ، فهذا سبب انعزال الأدب العربى عن السياسة

فالأدباء ممثلو أممهم : ففى انجلترا حيث كان الدستور والحياة النيابية هما العقيدة التى يدين بها الشعب شارك الأدباء كما شارك غيرهم من أفراد الشعب فى الحياة السياسية وتوطيد أركان الحرية ، وفى الأقطار العربية حيث كانت الملكية المطلقة هى القاعدة أحجم الأدباء عن غمار السياسة كما كان بقية الشعب محجماً

ولقد خفف من وطأة الحكومة المطلقة على الأدب أن أكثر الخلفاء والأمراء كانوا أدباء أو عشاقاً للأدب ، وكانوا جميعاً يقربون رجال الأدب ويغدقون عليهم ؛ على أن هذه الحالة كانت لها مساوئها بجانب مزاياها : إذ زخر أدبنا دون غيره من الآداب العالية بأشعار المديح والتهنئة والاستجداء ، وشتان بين أدب ينمو فى ظلال الحرية والاستقلال ، وآخر بين قيود الرعاية والحماية والمنحة

كان الدستور محور السياسة فى انجلترا ، وكان الدين محورها فى الأقطار العربية ، فعليه انقسمت الأمة أحزاباً فى أول الأمر ، ومنه انبعثت الفتن والثورات وقامت الأسر الحاكمة وتقسمت الأمبراطورية العربية دولاً ودويلات ، وبحافز منه جاهد المسلمون الروم ثم الفرنجة . كان الدين فى كل هذه الأطوار مبعث النشاط السياسى وزناد الروح الوطنية والقومية ، ولا ترى الشعر العربى يحفل بالحماسة وروح القومية إلا فى عصور الجهاد تلك

فالحياة الديمقراطية فى انجلترا كانت العامل الأول فى اتسام الأدب الانجليزى بالنزعة العملية ومساهمته فى الحركات السياسية والاجتماعية ، واختراع الطباعة كان عاملاً آخر ساعد اتصال الأدباء بالحياة الاجتماعية واعتمادهم على جمهور القراء بدل الاعتماد على منح الأمراء ، ونتج من توثق هذا الاتصال نشوء الصحف الدورية فكانت عاملاً جديداً فى هذا الميدان أعقبه تعميم التعليم

فعاملا امتلاء الأدب الانجليزى بالنزعة العملية هما الحياة الديمقراطية أولاً وانتشار المطبوعات ثانياً ، وقد كان كلا العاملين يعوزان الأدب العربى ، ومن ثم يزخر الأدب الانجليزى بالشؤون الاجتماعية والسياسية والوطنية بينما يقتصر الأدب العربى على وصف المشاعر الانسانية العامة وتصوير حالات النفس وأطوار الفرد ؟

فخرى أبو السعود

١١ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

ـ وفى هذا يزدرى الفيلسوف البدن ، فتفر منه روحه وتود أن تنعزل بنفسها

ـ هذا صحيح

ـ حسناً ، ولكن بقى شىء آخر ياسمياس ، أثمت عدل مطلق أم ليس له وجود ؟

ـ لا ريب فى أنه موجود

ـ وجمال مطلق وخير مطلق ؟

ـ بالطبع

ـ ولكن هل حدث لك أن رأيت واحداً منها بعينيك ؟

ـ يقيناً لم أره

ـ ألم تدركها قط بأية حاسة جثمانية أخرى ؟ (ولست أتحدث عن هذه وحدها ، بل كذلك عن العظمة المطلقة وعن الصحة وعن القوة وعن كُنْه كل شىء ، أى حقيقة طبيعته) ألم يأتك علمها قط خلال أعضاء الجسد ؟ أليس الذى يريد عقله على أن يتصور كنه الشىء الذى هو بصدد بحثه أضبط تصوُّر ، إنما يسلك بذلك أخصرَ السبل التى تؤدى الى معرفة طبائعها الكثيرة ؟

ـ يقيناً

ـ أما من يظفر بمعرفتها أسمى ماتكون نقاء ، فهو ذلك الذى يسمى اليها واحدة واحدة ، فيتناولها بالعقل وحده ، دون أن يأذن للبصر أو لغيره من الحواس الأخرى بالتطفل أو التدخل فى مشاركة العقل وهو منصرف الى التفكير ، بل ينفذ بأشعة العقل ذاتها ، بكل صفائها ، الى ضوء ما فيها من حقائق ، بعد أن يكون قد تخلص من عينيه وأذنيه ، بل ومن كل جسده ، الذى لا يرى فيه إلا عنصر تهويش ، يعوق الروح عن إدراك المعرفة ما دام متصلاً بها ـ أليس أرجح الظن أن يظفر مثل هذا الرجل بمعرفة الوجود ، إن كانت معرفته فى مقدور البشر على الاطلاق ؟

فأجاب سمياس ـ إن فى ذلك يا سقراط لحقاً رائعاً

ـ أوليس لزاماً على الفلاسفة الحق إذا هم اعتبروا ذلك كله أن يغوصوا فى أفكارهم ، فاذا ما التقوا تحدث بعضهم الى بعض عن تفكيرهم بمثل هذه العبارة : إنا قد اهتدينا الى سبيل من التأمل قمينة أن تنتهى بنا وبالجدل الى هذه النتيجة : وهى أنه ما دمنا فى أجسادنا وما دامت الروح ممتزجة بهذه الكتلة من الشر ، فلن تبلغ شهوتنا حدَّ الرضى ، وإنها لشهوة الحقيقة ، ذلك لأن الجسد مصدرٌ لعناء متصل ، علته هذه الحاجة الى الطعام ، وهو كذلك عرضة للمرض الذى ينتابنا فيحول بيننا وبين البحث عن الحقيقة ، وهو كما يقول الناس ، أبداً لايدع لنا السبيل الى تحصيل فكرة واحدة ، لما يملأنا به من صنوف الحب والشهوات والمخاوف والأوهام والأهواء ، وكل ضرب من ضروب الجهالة ، وإلا فمن أين تأتى الحروب والمعارك والأحزاب إن لم تكن آتية من الجسد وشهوات الجسد ؟ فالحروب يثيرها حب المال ، والمال إنما يُجمع من أجل الجسد وخدمته ، ومن جراء هذا كله يضيع الوقت الذى كان ينبغى أن ينفق فى الفلسفة ، هذا ولو تهيأ للفلسفة الميل والفراغ لنفث الجسد فى مجرى التأمل الشغب والاضطراب والخوف ليحول بيننا وبين رؤية الحقيقة ، وقد دلت التجارب جميعاً على أنه لو كان لنا أن نظفر عن شىء مّا بمعرفة خالصة لوجب أن نتخلص من الجسد ، ولزم على الروح أن تشهد بجوهرها جواهر الأشياء جميعاً ؛ ولست أحسبنا إلا ظافرين بما نبتغى ، وهو ما نزعم أننا محبوه ، وأعنى به الحكمة ، لا أثناء حياتنا بل بعد الموت كما تبين من الحديث . فان كانت الروح عاجزة عن تحصيل المعرفة وهى فى رفقة الجسد ، فالنتيجة كما يظهر أحد أمرين : إما أن تكون المعرفة ليست على الاطلاق حقيقة بالتحصيل ، وإما أن تحصيلها يكون بعد الموت إن كانت جديرة به ؛ فعندئذ ، وعندئذ فقط ، تنعزل الروح فى نفسها مستقلة عن الجسد ، وأحسب أننا فى هذه الحياة الحاضرة نسلك أخصر السبل إلى المعرفة ، لو كنا نبذل نحو الجسد أقل ما يمكن

بذله من عناية وشغف ، فلا نصطبغ بصبغة الجسد ، بل نظل أصفياء إلى الساعة التي يشاء فيها الله نفسه أن يحل وثاقنا ، فإذا ماتطهرنا من أدران الجسد ، وكنا أنقياء ، وتجاذبنا مع سائر الأرواح النقية أطراف الحديث ، تعرفنا أنفسنا في الأشعة الصافية التي تضيء في كل مكان ، فلا ريب أن ذلك هو ضوء الحقيقة ، فلن يُؤْذَنَ لشيء دنس أن يدنو مما هو طاهر ، إنه لن يسع محبي الفلسفة الحقيقية ، ياسمياس ، إلا أن يفكروا في هذه الألفاظ وأشباهها ، وأن يقولها بعض لبعض ، أفأنت موافق على ذلك ؟

ـ يقينا يا سقراط

ـ ولكن إن صح هذا ياصديق ، فما أعظم الأمل إذن في أنني إذا مابلغت غاية رحلتي ، فلن يقلقني هذا الهم الشاغل الذي صادفني وإياكم في حياتنا الأولى ؛ أما وقد تحددت ساعة رحيلي ، فذلك ما أرْحَلُ به من رجاء ، ولست في ذلك فريداً ، بل هكذا كل رجل يعتقد أن عقله قد تطهر

فأجاب سمياس ـ يقينا

ـ وماذا يكون التطهير غير انفصال الروح عن الجسد كما سبق لي القول ، واعتياد الروح أن تجمع نفسها وتحصرها في نفسها بعيداً عن مطارح الجسد جميعاً ، وانعزالها في مكانها الخاص ، في هذه الحياة كما في الحياة الأخرى ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، وفكاكها من أغلال البدن ؟

فقال ـ هذا جد صحيح

ـ وماذا يكون ذلك الذي يُدعى الموت سوى هذا الانفصال نفسه ، وتحلل الروح من الجسد ؟

فقال ـ لاشك في ذلك

والفلاسفة الحق وحدهم دون غيرهم يبحثون في انطلاق الروح ويتمنون أن يكون . أليس انفصال الروح وفكاكها من الجسد هو موضوع بحثهم الخاص ؟

ـ هذا صحيح

ـ إنه لتناقض مضحك كما قلت في بادىء الأمر ، أن ترى أناساً يحاولون بالدراسة أن تكون حياتهم قريبة من حالة الموت ما استطاعوا ، فإذا ما أدركهم الموت أشفقوا منه .

ـ يقيناً

ـ إذن ياسمياس . فمادام الفلاسفة الحق لا ينفكون يبحثون في الموت ، فالموت عندهم ، دون الناس جميعاً ، أهون الخطوب . أنظر الى الأمر على هذا النحو : كم يبلغ منهم التناقض أن يناصبوا الجسد عداوة متصلة ، وأن يتمنوا لو خلصت لهم الروح وحدها ، فإذا ما أجيبوا الى ذلك ، كان منهم السخط والجزع ، في مكان اغتباطهم بالرحيل الى ذلك المكان ، حيث يؤملون إذا ما بلغوه أن يظفروا بما قد أَحَبُّوا في الحياة (ألا وهي الحكمة) ، وأن يتخلصوا في الوقت نفسه من مرافقة عدوهم . وكأيِّن من رجل تمنى أن يذهب الى العالم الأسفل ، آملاً أن يصادف هناك معشوقة دنيوية ، أو زوجاً ، أو ولداً ، ليتحدث إليهم . أبعد ذلك يشفق من الموت مَنْ هو للحكمة محب صحيح ، ويعتقد كذلك أن لن تتاح له بحق إلا في العالم الأسفل ؟ أليس يقابل الرحيل بالبِشْر ؟ إنه ياصديقي لابد فاعل إن كان فيلسوفاً حقاً ، لأنه سيوقن يقيناً ثابتاً أنه لا يستطيع أن يلتمس الحكمة في نقائها إلا هناك فقط ، دون أي مكان آخر . وإن صح هذا ، فأبلغ به من أحمق ـ كما سبق لي القول ـ إن كان يَفْرَقُ من الموت

فأجاب سمياس ـ لاريب في أنه فاعل

وأنت إذا رأيت رجلاً يجزع من اقتراب الموت ، كان جزعه دليلاً قاطعاً على أنه ليس محباً للحكمة ، ولكنه محب للجسد ، وربما كان في الوقت نفسه محباً للمال ، أو القوة ، أو كليهما

فأجاب ـ هذا جد صحيح

ـ إن ثمت يا سمياس لفضيلة تدعى الشجاعة . أليست هذه صفة خاصة بالفلسفة ؟

ـ يقينا

ـ وكذلك الاعتدال . أليس الهدوء ، وضبط النفس ، وازدراء العواطف ، التي يسميها الدهماء أنفسهم بالاعتدال ، صفة مقصورة على أولئك الذين يحتقرون الجسد ويعيشون في الفلسفة ؟

ـ ليس في ذلك خلاف

ـ وأنت إذا نظرت إلى الاعتدال والشجاعة عند سائر الناس ، ألفيت بينهما ، في حقيقة الأمر ، تناقضاً

ـ وكيف ذلك يا سقراط ؟

فقال ـ إنك عليم بأن الناس بصفة عامة ينظرون إلى الموت شراً وبيلاً

فقال ـ هذا صحيح

(يتبع) زكي نجيب محمود

٩ – بين القاهرة وطوس

من طوس الى طهران

للدكتور عبد الوهاب عزام

برحنا المشهد عائدين إلى طهران والساعة عشر إلا ربعا من صباح يوم الاثنين سادس رجب (١٥ أكتوبر) فمررنا بقرية اسمها قدمگاه (موضع القدم) وقد ذكرتها فى سيرنا من نيسابور إلى مشهد وأرجأت الكلام عنها إلى الاياب إذ لم نعرج عليها فى الذهاب. وقفت السيارة فنزلنا وملنا ذات اليسار فدخلنا ساحة بين جدارين فيها طاقات لا أبواب لها بناها بعض السلاطين ليأوى إليها المسافرون. ثم صعدنا إلى مستوى ينحدر منه مجرى ماء. فانتهينا إلى شجيرات عادية بجانبها حجرة كبيرة. ولقينا قيم المكان فقال أنا كشيش قدمگاه. قلنا ياصاح إن الكشيش رجل الكنيسة وأنت رجل مسلم، فقال أنا خادم القدم المبارك. ولجنا الباب فرأينا على يسارنا بَنِيّة فيها حجر بركانى أسود فيه أثر قدم. قال دليلنا هذا قدم الامام على الرضا. ثم خرج بنا إلى حجرة أخرى فى وسطها بركة صغيرة مستديرة بها ماء صاف يشف عن سمكات صغيرات يجلن بين سطحه والقاع. قال هذه عين الامام الرضا فاشربوا. فغسلنا أيدينا داعين منشدين:

« وعين الرضا عن كل عيب كليلة »

نزلنا سائرين إلى الجادّة فشربنا الشاى وقوفاً واستأنفنا المسير إلى نيسابور. ونزلنا فى الخيام التى ضربت لنا من قبل عند قبر الخيّام فاسترحنا وطعمنا.

خرجنا من نيسابور والساعة ثلاث بعد الظهر، فوردنا سبزوار ستًّا إلا ثلثا، فأوينا إلى النزل الذى وصفته من قبل، وبعد العشاء اجتمع بعضنا فى حجرة الأستاذ العلاّمة كوبر على زاده محمد فؤاد مندوب الحكومة التركية، وجاء مغنّون من أهل القرية فغنّوا من رباعيات الخيام وغيرها ضاربين على التار (آلة تشبه العود) فطربنا لهذا الغناء. وهذا المجلس الذى جلس فيه علماء من أمم شتى دون ترتيب ولا تكلف، بعضهم على السرُر والآخرون على الأرض، فأخذنا نوقّع بأيدينا على نغمات التار. ولا أنسى الأستاذ كريستنسون الداغركى وقد مدّ رجليه وأمسك عود الدخان (البيبة) بفمه ونشط للصفق على أنغام الموسيقى.

برحنا سبزوار والساعة تسع ونصف، فبلغنا داوَرزَن بعد ساعة ونصف ونزلنا بها منزلنا الأول فاسترحنا وتغدينا. ثم فارقناها والساعة واحدة ونصف نؤم شاهرود، وكان بردها لايزال عالقا بى، فقلت لأصحابى: سأترك فى شاهرود العلة التى أخذتها منها. قال الأديب رشيد الياسمى: إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها. وبعد ساعة وقفنا على قرية اسمها عباس أباد فجاء شبان يعرضون علينا من صنعة القرية مسابح وأزراراً وأشياء أخرى مصنوعة من حجر أزرق ضارب إلى السواد فاشترينا منها للذكرى.

ثم سرنا فمررنا بزيدر فنزلنا بها ربع ساعة فشربنا الشاى عند شجيرات وقناة هناك، وأسرعنا السير ليتسنى لنا أن نعرج إلى بسطام فنزور أبا يزيد قبل الغروب، فعطبت سيارتنا على مقربة من شاهرود، وذهبت فضلة الوقت فى إصلاحها فاضطررنا أن نعدل عن بسطام إلى شاهرود فوردناها بعد المغرب ونزلنا فى دارين داخل البلد استُبدلتا بالدار التى بظاهر البلد بعد الذى أصابنا من بردها فى الطريق إلى المشهد. وبكرت أنا والأستاذ عبد الحميد العبادى والأديب أحمد الصراف آملين أن نزور بسطام ونرجع قبل أن يتأهب أصحابنا للسفر، فما زلنا ننتظر سيارتنا حتى فقدنا الرجاء فى زيارة أبى يزيد فسرنا مع الركب آسفين مرسلين للشيخ الصوفى تحيتنا على البعد

سرنا عن شاهرود والساعة سبع ونصف من صباح الأربعاء مزمعين أن نبلغ طهران عشية اليوم. وبين شاهرود وطهران أربعمائة كيل وثلاثة. ووردنا دامغان بعد ساعة، فرأينا أن نتلبث بها لنرى بعض مشاهدها ولم تكن وقفنا بها فى ذهابنا إلى المشهد،

كانت دامغان مدينة قومس، وهى اليوم من ولاية طبرستان وتبعد ٦٤ كيلاً من استراباد، جنوبىّ جبال ألبرز. على حدود العراق العجمى وخراسان. ويقال إنها فى موضع مدينة هكتُمبيليس إحدى المدن العظيمة فى مملكة الأشكانيين القديمة، وأن اسكندر المقدونى أدرك دارا الثالث قتيلاً على مقربة منها.

قال ياقوت راويا عن مسعر بن مهلهل : « الدامغان مدينة كثيرة الفواكه . وفاكهتها نهاية . والرياح لاتنقطع بها ليلاً ونهاراً . وبها مقسم للماء كسروى عجيب يخرج ماؤه من مغارة فى الجبل ثم ينقسم إذا انحدر عنه على مائة وعشرين قسماً لمائة وعشرين رستاقاً لايزيد قسم على صاحبه ، ولا يمكن تأليفه على غير هذه القسمة . وهو مستطرف جداً ما رأيت فى سائر البلدان مثله ولاشاهدت أحسن منه »

قال ياقوت : « قلت أنا جئت إلى هذه المدينة فى سنة ٦١٣ مجتازاً بها إلى خراسان ، ولم أر فيها شيئاً مما ذكره لأنى لم أقم بها »

وأنا أقول قول ياقوت ، وأزيد أن مقسم هذه المياه تهدم إبان الغارة الأفغانية فيما يقال

وإلى الشمال الشرقى من المدينة ، ينبوع عظيم يسمى چشمه على (ينبوع على) يزوره الناس ، ويزعمون أنه يفيض على حجر به أثر من حافر فرس الرسول صلوات الله عليه . وقد بنى حوله فتح على شاه سنة ١٢١٧

وقال ياقوت : « وبينها وبين كردكوه قلعة الملاحدة يوم واحد ، والواقف بالدامغان يراها فى وسط الجبال »

سألنا عن الآثار الساسانية التى بدامغان فقيل لنا إنها بعيدة عن البلد ، وطريقها غير معبدة ، وهى ليست ذات خطر . ثم هدينا إلى بناء اسلامى قديم ، فدخلنا إلى فناء فيه قبور لاطئة بالأرض ، ينتهى إلى حجرة كبيرة فى وسطها قبر كبير عليه سياج من الخشب ، وعليه كتابة قديمة كثيرة ، وإلى يسار الداخل قبر صغير لاسياج له ، فأما الضريح فقيل إنه لأحد أبناء الأئمة العلويين ، وأما الذى إلى يسار الداخل ، فقيل إنه لشاهرخ ، ورأينا حجرة أخرى مغلقة كتب عليها : أمر بعمارة هـذا البناء شاهرخ . وقد ظننت أنه شاهرخ بن تيمورلنك ، وعجبت كيف دفن هنا وقد مات فى الرى . ثم تذكرت شاهرخ حفيد الملك نادرشاه ، الذى أسره آقا محمد القاجارى فى دامغان ، ومازال يعذبه ليسلم إليه خزائن جده نادرشاه حتى مات سنة ١٢١١ ، فقلت هـذا قبر الأمير الضرير المنكود الطالع

بلغنا سمنان والساعة إحدى عشرة وربع فنزلنا منزلنا الأول فى المصنع الذى بظاهر البلد . وقلت للأستاذ العبادى لايفوتنا اليوم أن نرى مسجد الجمعة فى سمنان . فقلنا للأديب سيف آزاد صاحب مجلة « إيران باستان » فرافقنا وصحبنا فى الطريق أحد ضباط الشرطة ، ودخلنا من باب كبير تزينه نقوش وتماثيل وكتابة فيها اسم ناصر الدين شاه الى طريق على جانبيها أبنية للجند وخرجنا من باب آخر فسرنا فى شارع مشجر وأزقة ضيقة ، ثم ترجلنا وتركنا السيارة وتخللنا الطرق حتى انتهينا الى مسجد صغير جميل ، قرأنا فيما عليه من كتابة اسم الشاه طهماسب الصفوى

ثم ذهبنا الى مسجد الجمعة وهو قديم عظيم ، وأقدم ما فيه منارته ، وهى فيما يظهر بقية مسجد كبير بناه السلاجقة ثم هدمه التتار فأقيم المسجد الحاضر على جانب من عرصته . ثم زاد فيه إيواناً كبيراً أحد وزراء السلطان شاهرخ بن تيمور سنة ٨٢٨

وخرجنا من مسجد الجمعة فمشينا فى سوق طويلة مسقوفة تنبئ بعظم المدينة فى الماضى ، وقد أنشدنى الأديب سيف آزاد فى مسجد سمنان بيتاً معناه

« وا أسفا على المسجد الذى فى سمنان ، إنه يوسف فى السجن » (١)

اجتمعنا على الغداء فى سمنان ، ونحن نعلم أن الركب سيتفرق فى طهران فلا يجتمع ، فتكلم بعض الوافدين شاكراً حكومة إيران ، والموظفين الذين رافقونا فى مسيرنا إلى طوس وإيابنا ، وأجاب السيد ابتهاج والأديب رشيد الياسمى معربين عن سرورهم وافتخارهم بمصاحبة الضيوف الخ ، وأرسلنا برقية إلى وزير المعارف نبلغه والحكومة الايرانية شكرنا . وكان الوزير قد تخلف فى المشهد هو والوزراء الآخرون ، ليصحبوا جلالة الشاه فى سفره إلى جرجان . . .

ركبنا السيارات والساعة اثنان وربع بعد الظهر ، فجد بنا المسير حتى نزلنا فى فيروزكوه فاسترحنا وشربنا الشاى فى مطعم هناك . ثم ركبنا فما زلنا فى فيروز كوه (جبل فيروز) قممه وشعابه ووديانه حتى عيل الصبر ، وأظلم الليل ورهقنا الاعياء . ثم دخلنا طهران والساعة ثمانية من المساء فأوينا إلى الفندق بشق الأنفس

(يتبع)

عبد الوهاب عزام

(١) سيف بر مسجد كه درسمنان بود   يوسف حسنى كه درزندان بود

الراعى

للأستاذ محمود الخفيف

الراعى — رسم الأستاذ على الأهوانى

راعنى فى الحقل إنشادٌ بديع   والندى يغسل أجفان الصباحْ
فتطلعت الى راعى القطيع   قد شجاه حسنُ اقبال الربيع
وتبـدت روعة الـكون له
فتغنى فى هيـام ومراح

باسم كالصبح فى طلعته   حالم العينين لمَّاح الجبينْ
حُمرة الأصباح فى وجنته   وصفاء الكون فى مقلته
مرهفٌ كالغصن نشوان الصبا
غَردٌ كالطير فياض الحنين

ثَملُ اللفتـة فى إقبـاله   تتراءى فوق عِطفيه عصاه
مَرِحٌ يختـال فى سرباله   مُعْجَلٌ يعـثر فى أذياله
أو حليم قَرُبَ المرعى له
فتهـادى وتأنى فى خطاه

ذاكرٌ ليـلاهُ فى تحنانه   رائعُ الإنشاد فى الأرض الفضاء
تحملُ الريحُ صدى ألحانه   فتهزُّ الحقـلَ من أركانه
تذهل النوامَ عن أحلامهم
قبل أن تغرق فى سيل الضياء

يصفُ الحبَّ كما يعرفه   قلبُه الخالص من سوء الطباع
هاتفٌ ، يسألُ « من يُنصِفُه   من غزال صَدَّ ، لا يعطفه
دمعُه المسفوح أو يصرفُه
عن دلال لجَّ فيه وخداع »

أخذت نفسِىَ منـه روعةٌ   واستخفتنى معانيـه العِذابْ
ملكتنى إذ تغنى نشوةٌ   وتَنَزَّتْ فى فؤادى صَبْوةٌ
تركتنى غارقاً فى حُلُم
ضاحكِ الأطيافِ رَفَّافِ الجناب

تضحك الأرضُ مع الشمس له   ويشيعُ السحرُ فى أركانهـا
يتبدَّى كلُّ شئ حوله   طافحَ البشر طروباً مثـله
وترى الوُرْق شجاها لحنُه
فتغنت فى ذرى أفنانهـا

يصبحُ الراعى طروباً شاديا   مطمئنا ليس يدرى ما الشجنْ
وتراه حـين يمسى راضيا   فى ظلام الكوخ يغفو ثاويا
ناعمَ البـال قريراً آمنا
هادئَ الضجعة ريَّان البدَن

لم يكدِّرْ صَفْوَهُ حِرصٌ ولا   سَهَّدَتْ جفنيـه أطماعُ الحياه
لن تراه نائحاً يوماً على   أملٍ فات ولا يصبو إلى
ما طواه الغيب فى أحشائه
حسبه الله فلا يرجو سواه

ملهَـمٌ رُكِّبَ فى فطرته   حبُّ ما فى الكون من آى الجمال
تَسمع التسبيحَ فى لهجتـه   وترى الاعجابَ فى نظرته
ساذجُ الأحـلام إلا أنه
صادق الوجدان مشبوبُ الخيال

كم رأى الفجرَ وما فى أفْقه   من جمال واجتلى نورَ السَّحَرْ
وتملَّى الصبحَ فى إشراقه   يفتِن النُّظَّارَ من عشاقه
بصفاء تعلق الروحُ به
عبقريِّ الحسن موموقِ الصُّوَرْ

ولـكم آنَسَ من حالى الضحى   ومن الآصال مزدان الحُلَلْ

يجدُ الـكونَ جميعاً مسرحا   يجتليـه غادياً أو رائحا
هائم يضرب فى آفاقه
دائم الترحال موصولَ الجذل
ولـكم شاهدَ إقبال الدجى   حين ذابت فيه ألوان الشفق
ورأى الليلَ إذا الليلُ سجا   وانجلى البدرُ وضيئاً أبلجا
تقبس الألحاظ من رونقه
قبل أن يدركه موجُ الغسق
كم رأى الراعى الحقول النَّضِرَةْ   حفلت بالحسن فى عيد الربيع
ورأى الصيف يُعَفِّى أثره   بيـــد عاتيةٍ مقتدره
تركت جنتـــه خاويةً
جَفَّ فيها الزهرُ والروضُ المَرِيع
ولـكم أبْهَجَه صفوُ الخريف   ورأى سحر مجاليه الوضاء
واغتدى يرتع فى ظل وريف   قدسرى فى جوه نفح لطيف
يملأ الصـــدر به مستروحا
قبل أن تعصفَ أنواء الشتاء
يا قنوعا مثَّلتْ عيشـــتُه   عيشةَ الانسان فى فجر الوجود
يا خليًّا أنسه وحـــدته   إيه يا من برئت فطرته
من غرور العيش فى زخرفه
يا طليقاً ما درى معنى القيود
يا قرير العين فى خلوته   لم يجرِّبْ مرةً غَدْرَ الصديق
يا نقيّ القلب فى عزلته   لم ير العالم فى زحمتـــه
هات من لحنك ما يطربنى
يا غريراً أنت بالبشر خليق
يا رضيّ النفس فى إيمانه   نَعِمَتْ نفسُك فى ظل رضاها
إيه يا من قَرَّ فى وجـــدانه   مِن هُـدَى اللهِ ومن رضوانه
ما ترنَّمتَ به فى غبطة
فطن القلب إليـها فوعاها
هات من لحنك يا راعى القطيع   قد نفى لحنك عن قلبى الحزَن
هيه إنى ما تغنيتَ سميع   وسأمضى شاكراً هذا الصنيع
ذاكراً لحنَك مفتوناً به
إن فى ذِكراه رَوْحاً وسكن

محمود الخفيف

من الأدب الفرنسى المعاصر

أندريه جيـــــد

André Gide

بقـــلم على كامل

تتمـــة

يرى أندريه جيد ـ ويتفق معه فى ذلك مارسـل بروست والـكاتب الايطالى پيراندللو ـ أن الشخصية ماهى إلا وهم زائف ، وأن الانسان صنيعة الظروف والاحتمالات

ومهما يكن مقدار ما فى هذه الآراء من الحق أو الباطل فقد كان لها الفضل الأول فى تجديد القصة الأوربية لما تضمنته من تحطيم فـكرة (الأخلاق الثابتة) و (النماذج الانسانيـة) التى كانت أساس القصة التحليلية فى الأدب الغربى لتقيم على انقاضها أسس فـكرة (اللاشعور) قبل العالم (فرويد) نفسه . كما أن هذه الآراء قد أبانت الأثر العظيم للغرائز الجنسية وعدم توازن العواطف فى حياة الأشخاص متأثرة فى ذلك بقصص الـكاتب الروسى دستويفسكى

على أن ما يمتاز به أندريه جيد من كل من مارسل بروست وپيراندللو أنه لا يكتفى بالنظر الى الأمور نظرة العالم النفسى ، بل إنه يخرج من دراسته (بقاعدة) يرى من الواجب السير عليها فى الحياة : تلك القاعدة هى وجوب أن يسعى الانسان الى فهم طبيعته وإدراك حقيقة نفسه بنفسه ، وما ذلك إلا بالخضوع لـكل الدوافع المتنوعة مهما كانت ، والتذرع بالشجاعة لتحقيق كل ما يجيش فيه من الرغبات دون اختيار ، أى دون أن يقول الانسان لنفسه : هذا متفق ومع الآداب العامة ، وهذا مغاير لها ؛ هذا يمس الدين وهذا لا يمسه . . . . . الخ يجب أن يكون كل منا (كطفل ضال ، وُجد دون أن تُعرف حالته المدنية ، دون أوراق . . . . . قذفه المجهول ، لا يَعرِف له ماضياً ولا قاعدة يسير عليها ولا سنداً يعينه ، لا وطن له ولا أجداد)

إن هذه هى الوسيلة الوحيدة عنـد جيد لانكشاف حقيقة نفوسنا أمام أعيننا ، وعندئذ نسير على هدى طبيعتنا

وفى قصته مزيفو النقود Les faux-monnayeurs (١٩٢٥) نرى الفتى (برنار) يخاطب القصصى (ادوار) ويسأله النصح كيف يضع قاعدة لحياته ، فيجيبه ادوار قائلاً : (إن هذه القاعدة تجدها فى نفسك على أن يكون قصدك السير الى التقدم . ليس عندى ما أقوله لك . إنك لاتستطيع أن تستمد هذه النصيحة إلا من نفسك . فلا تحاول أن تتعلم كيف تعيش إلا بأن تعيش)

ولكى نعيش ـ فى نظر جيد ـ عيشة لايقيدها قيد يجب ألا نتردد عند الحاجة فى الثورة على نظام الأسرة والجرى وراء إحساساتنا تقودنا الى حيث الحقيقة العظمى . فالاستقرار هو ألد أعداء جيد ، لأن رائده هو أن نكون متأهبين دائماً لتغيير جديد فى حالتنا

وفى كتابه الأغذية الأرضية Les Nourritnres térrestres نسمع جيد يخاطب (ناتانايل) Nathanaël ملقياً عليه تعاليمه قائلاً :

(ناتانايل : إياك أن تستقر فى مكان ، فبمجرد أن تغيرت ظروف هذا المكان وأصبحت موافقة لطبيعتك ، أو جعلت أنت نفسك موافقاً لظروف المكان ، عندئذ لا تبقى لك فائدة تُرجى من وجودك ، فيجب أن تهجره ، ليس هناك أخطر عليك من أسرتك ، من غرفتك ، من ماضيك)

وفى قصة L' Immoraliste نسمع (مينالك) Ménalque يقول : (إننى لا أريد أن أتذكر . فاعتقادى أن هـذا منع لوصول المستقبل . واعتـداء على الماضى الذى لم يعد لى فيه حق ، إننى بنسيانى الكامل للأمس أجدد كل ساعة من حياتى . إن كونى كنت سعيدا لا يكفينى ، لأننى لا أومن بالأشياء الميتة . وما كنت عليه وزال عنى الآن هو عندى كأنه لم يكن)

على أن فكرة جيد عن التحرر المطلق كما رأينا لم تقض على عاطفته الدينية . بل لقد أحدث عنده هذا الايمان القوى بالتحرر وبالاستسلام لكل إحساس يغمرنا ، نتيجةً عكسية ، إذ جعل جيد يترك العنان لأحساسه الدينى يطغى عليه بين وقت وآخر دون أن يحاول كبته ، فنراه يتكلم عن الله والحياة الخالدة بأسلوب متصوف زاهد ، فى كتابه الأغذية الأرضية Les Nourritures terrestres وهو الكتاب الذى ينفجر فيه بالدعوة إلى التمتع بالحياة الحسية يقول : (إنك حيثما تذهب لا تستطيع أن تقابل إلا الله) وأيضاً (ناتانايل : لا تأمل أن تجد الله إلا فى كل مكان) وفى كتابه الأغذية الأرضية الجديدة Les Nouvelles Nourritures terrestres يقول : (يجب أن نفكر فى الله بأقصى ما يمكن من الانتباه واليقظة . . . . . . إننى عنـد ما أهجر التفكير فى الخالق إلى التفكير فى المخلوق تنقطع صلة نفسى بالحياة الخالدة وتفقد حيازتها لملكة الله)

والآن ، أليس من التناقض مع فكرة (التحرر الأخلاقى) والدعوة إلى التمتع بالحياة أن يغمر جيدَ إحساس أشد المتدينين إيماناً فيفكر فى الله كل يوم ـ كما يقول ـ ولا يستطيع له فراقاً ؟

إن جيد يبرر موقفه بفلسـفة هى أهم نواحى التجديد فى تفكيره . إنه يفصل بين اللذة plaisir والحب amour ، أو بعبارة أخرى بين الجسد corps والنفس âme ، لذا نراه يبيح من جهة تحقيق كل مقتضيات الجسـد ، ومن جهة أخرى تحقيق كل مقتضيات النفس فى الاتجاه إلى قوة عُليا . ولا شك أن رأى جيد هذا لايتفق مع عقيدة دينية ، ولكنه فى صميمه وَحى طابعه الدينى الذى لم يستطع التخلص منه فأراد التوفيق بين إحساسه الدينى ومذهبه الفكرى فى التحرر الأخلاقى

وفى العبارة الآتية يعترف لنا جيد أن هذه الناحية من تفكيره كانت خلاصاً وتبريراً لما أوقعته فيه مشكلته النفسية . يقول : (أما فيما يتعلق بى فقد قلت مراراً كيف أن الظروف وما تتجه إليه طبيعتى كانت تدعونى إلى التفرقة بين الحب واللذة لدرجة أنه كانت تؤلمنى فكرة المزج بينهما) ثم يقول لقد فصلت أنا أيضاً بين اللذة والحب ، بل إن هذا الفصل بين الأثنين قد ظهر لى أنه كان لازماً . فاللذة أكثر نقاء plus pur والحب أعظم كمالاً plus parfait)

يرى جيد أن انطلاقنـا وخضوعنا لمطالب أجسادنا إنما هو نوع من السذاجة والبراءة innocence ، وأن اجابة الانسان لنداء طبيعته وغرائزه التى ولدت معه إنما هو خضوع لارادة الله . وما الفرق عنـده بين من يجارى ميوله وشهواته كلها وبين من

يكبح بعضها إلا كالفرق بين (من يأكل كل شيء ومن لا يأكل غير الخضروات)

ويقول جيد أيضاً : (ليس فى الانسان شئ غير طاهر) Rien n'est impur en soi ، لذا كان ما تفيض به طبيعة الانسان من ميول وشهوات لا يجب فى نظره أن يحمل غير معنى الطهر والنقاء والاخلاص لأنفسنا فيجب أن نطيعها دون اختيار (لأن كل اختيار إنما هو تحديد لحريتنا)

على أن جيد يشترط لكل عاطفة تحركنا أن تكون مخلصة لكى نطيعها ونجيب نداءها . فى Si le grain ne meurt نسمعه يقول : (إن لذاتى لا تحجب وراءها فكرة خفية . لذا لا ينبغى أن يتبع هذه اللذات أى شعور بالندم) فهو يقصد بذلك أن يقول إن فكرة الحرية والانطلاق إذا استترت وراءها نية أو غرض معين خرجت عن دائرة البراءة والأخلاص

وفى ضوء ما ذكرنا نرى أن فكرة أندريه جيد فكرة مزدوجة مضمونها :

أولاً : الناحية الجسدية الحيوانية فى الانسان وهى الناحية البريئة الساذجة

ثانياً : الناحية المنوية ، وهى إما الناحية الخاصة بالاحساس الدينى ، وإما الناحية الشيطانية فى الانسان

ففكرة جيد هى الفصل بين هاتين الناحيتين اللتين هما فى الواقع حقيقتان من حقائق الطبيعة الانسانية — الناحية الجسدية والناحية المنوية — ثم السمو بهما الى أقصى ما يمكن من الطهر والنقاء . وما السبيل الى ذلك إلا بنبذ كل ما لا أساس له من الحق والصدق ، وفى مقدمة ذلك بالطبع كل ما يرغمنا عليه المجتمع . ولقد استخدم جيد فى البداية عبقريته كناقد فذ فى تبرير حقه فى الانطلاق والتمتع بالحياة وفى (الحب الذى لا يجرؤ أن يقول اسمه) على أنه فيما بعد صرف همه الى العناية الشاملة بكل تقاليد المجتمع وحقائقه الفارغة وأوهامه لكى يعمد بعد ذلك الى تنقيحها أو هدمها من أساسها ، فنراه مثلاً يهاجم فكرة الحماية الأدبية ويطعن فى نظم التربية ويفضح مظاهر الرياء بين الطبقات الوسطى الى غير ذلك بما يراه من المفاسد الاجتماعية التى تقف حائلاً بين الانسان وبين حريته التامة .

ولقد كانت (فردية) أندريه جيد سبباً فى أن يبقى حتى الثامنة والخمسين من عمره بعيداً كل البعد عن الاهتمام بالمصلحة العامة أو الايمان بعقيدة سياسية أو اجتماعية على اعتبار أن الأصغاء لأفكار الغير يحد أو يغير من أفكار الانسان الخاصة التى يجب أن تكون بعيدة عن كل تأثير خارجى . وأندريه جيد فى عزلته السياسية والاجتماعية كان يخالف تماماً كثيراً من أعاظم الكتاب الفرنسيين المعاصرين مثل أناتول فرانس وشارل موراس وموريس باريس وشارل بيجوى وروماں رولان وغيرهم .

على أن جيد بعد رحلته الى الكونغو وأواسط أفريقيا خرج مرة واحدة من دائرته الخاصة الى دائرة المجتمع الانسانى بأجمعه . يفكر فى ظروف الحياة فيه بعين تفيض بالرحمة الواسعة والحنان العظيم حتى أن المرء ليحس بأنه قد نسى نفسه ولم يعد يفكر الا فى الآخرين !

وفى كتابيه Voyage au Congo و Retour du Tchad نرى جيد يدافع عن الأمم المستعمَرة لا بمهاجمة فكرة الاستعمار نفسها ولكن بالمطالبة بحق إيثار هذه الأمم فى التقدم المطرد فى جميع شئون حياتهم وبتشفيه كل استعمار ينتهك حرمة هذه الحقوق المقدسة

ولكن هل بقى جيد عند هذا الحد من الاعتدال فى تفكيره السياسى وهو الذى من دأبه السير إلى أقصى حدود التطرف ؟ لا . إذ لم يكد ينقضى وقت يسير حتى رأينا جيد يرتمى فى أحضان الشيوعية التى اعترف بأنه عند اعتناقها كان يجهل صميم نظرياتها ، ولا شك أن اعتناق جيد للشيوعية مخالفة تامة لأسس تفكيره السابق ، لأن جيد (الفردى) قد أصبح يؤمن بنظام يقيد مصلحة الفرد فى سبيل مصلحة المجموع . وجيد الثائر على أى نظام من نظم التربية على اعتبار أن التربية تقييد وتحديد قد أصبح يؤمن بالمثل العليا الشيوعية . وجيد الذى كان ألد عدو للعقيدة الثابتة dogme قد أصبح إيمانه بالشيوعية تسليم منه بالنظريات الماركسية كنظرية (التفسير الاقتصادى للتاريخ) مثلاً . . . . وغيرها . على أن فى

الشيوعية أيضاً تتحقق معظم أفكار جيد وآماله ، ففيها شرود نهائي من ماضيه الديني الذي أثقله زماناً طويلاً ، وفيها التخلص من عبودية نظام الأسرة الذي طالما حاربه وناضل في سبيل القضاء عليه ، وفيها أمل جديد في الوصول الى ما يسميه جيد (مملكة الله) أي قتل الجوانب الخبيثة في الانسان بالتخلص من كل أنانية والتحرر من كل تفكير ذاتي ، وهو يرى فيها أيضاً الشفقة الزائدة والتفكير الجدي في محو الشقاء الانساني

ولعل من العجيب أن اندريه جيد منذ أعلن إيمانه بالشيوعية لم يعمل أي عمل أدبي جديد ، مقتصراً على نشر المقالات المختلفة التي تدور كلها تقريباً حول تبرير انقلابه الجديد ، ولا نقول الأخير ، فهل منا من يضمن أن جيد يستقر على حال ؟ !

* * *

لعل مظاهر التقلب والقلق الدائم وعدم الاستقرار التي صاحبت جيد عشرات السنين هي أعظم ما يرفعه (كانسان) لأنها نتيجة تغلغل عاطفة الحرية في دمه الى حد قل أن يكون له نظير ، فظل طول حياته (حديقة من التردد) ـ كما يسميه أكبر أتباعه الكاتب الفرنسي جاك ريفيير ـ لا يهدأ له بال . يدرس الحياة بنواحيها الفكرية والحسية ، يسافر الى أقصى البلاد . كل ذلك لكي يصل الى الحقيقة المنشودة التي يسعى وراءها . وبرغم عبء ماضيه الديني الثقيل فقد استطاع أن يحطم أغلاله لينطلق باحثاً منقباً

إننا حين نحكم على اندريه جيد يجب أن ننظر الى مجموع شخصيته ، متناسين عن تلك السبل الشاردة التي اختطها في حياته الخاصة ودعوته العامة ، وتعتبر في نظر ناقديه ـ مبالغة قصوى في تفسير معنى الحرية ـ لقد علمنا جيد كيف ننتصر على الخجل المقيت والرهبة البغيضة التي لا معنى لها ، علمنا كيف نكشف دخائل نفوسنا ولا نتركها في الظلام الدامس لا نعرف كنهها كأن ليس لنا بها صلة ، علمنا كيف نسلط عليها ضوءاً وهاجاً نستمده من صميم إرادتنا وشجاعتنا ، علمنا كيف نصرح بكل ما يجيش في خفايا قلوبنا من النزعات الصارخة ـ علمنا كيف ومتى نعرف تماماً حقيقة نفوسنا . . . . ليس بالاستسلام لغرائزنا الحيوانية كما يتهمه أعداؤه ظلماً ، بل بأن نساير طبيعتنا مهما كانت بسذاجة عظيمة ، سواء ما كان منها خاصاً بالناحية الحيوية أو بالناحية الروحية ، وأن نكون دائماً على أتم أهبة لمواجهة الحياة المتغيرة ومجاراتها على الدوام في قالب جديد

علي كامل

المصادر

1) René Schwob : Le vrai drame d' André Gide (1932)
2) André Billy : La litterature francaise contemporaine (1929)
3) René Lalou : Histoire de la littératnre francaise contemporaine (1931)
4) René Groos et Gonzague Truc : Tableaux du XX ème siècle (1900 — 1933) Les Lettres (1934)
5) Benjamin Crémieux : André Gide (étude) Nov. 1934

الحج فريضة على كل مسلم ومسلمة
شركة مصر للملاحة البحرية
مهدت السبيل اليه
بباخرتيها
«زمزم» و «الكوثر»
قوموا لحج بيت الله
يغفر لكم ما تقدم وما تأخر
الاستعلام من إدارة الشركة بعمارة بنك مصر القاهرة

بيان للنـــاس

بقلم صاحب السعادة محمد طلعت باشا حرب

لمناسبة حلول موسم الحج الشريف لبيت الله الحرام — يسرني أن أذيع على مواطنينا الأعزاء بعض ماقامت به « شركة مصر للملاحة البحرية » لراحة الراغبين فى تأدية هذه الفريضة المقدسـة :

أولاً — قامت الشركة بتجهيز باخرة ثانية «الكوثر» لمشاطرة شقيقتها « زمزم » شرف نقل الحجاج ، وهى باخرة غاية فى الفخامة ولا تقل عن زمزم أناقة ونظاماً ونظافة

وسنوجه الدعوة لزيارتها قبل مبارحتها الاسكندرية كما فعلنا فى العام الماضى بالنسبة لزمزم وسيدعى أيضاً لفيف من رجال الصحافة والأصدقاء للسفر عليها من الاسكندرية لبور سعيد فى طريقها إلى السويس . وبفضـل اشتراك الباخرتين فى النقل أصبحت محلات الدرجة الممتازة « اللوكس » والدرجتين الأولى والثانية متوفرة تماماً ، وأصبحت الشركة مستعدة باذن الله تعالى لنقل أى عدد من ركاب هـذه الدرجات فى الذهاب والاياب

ثانياً — لزيادة راحة الحجاج فى نزولهم من الباخرتين وطلوعهم اليهما بجدة قد أعدت الشركة مراكب كبيرة « قليلة الغاطس » وجعلتها شبه صنادل تقف على جانبى الباخرة عند رسوها وجهزتها بالسلالم والكبارى اللازمة لنزول الحجاج منها وصعودهم إليها بكل راحة وبدون أدنى خطر مهما كانت الرياح شديدة ومهما كان البحر هائجاً

وهذه الصنادل التى يسع الواحد منها نحو الخمسمائة حاج مجهزة « بالدكك والكراسى والخيام » (تندات) للوقاية من الشمس والمطر ويجرها رفاص لداخل الميناء

وفضلاً عن ذلك فالسنابك الأصلية موجودة أيضاً للنقل منها للميناء إذا تعذر لسبب ما وصول الصنادل إليها . وهذه تضحية جديدة من الشركة تكلفها مبالغ لايستهان بها ، ولكنها تبذلها عن طيب خاطر حسبة لله تعالى دون أن يحرم أصحاب السنابك والمشتغلون عليها من أهل الحجاز أجورهم المقررة بالتعريفة الرسمية التى تدفعها الشركة اليهم كاملة من مالها

والشركة تنتظر منهم أن يقابلوا ذلك بالشكر الجزيل وزيادة العناية فى خدمة الحجاج

ثالثاً — لتشويق من يرغب من أهل اليسار من الطبقتين العليا والمتوسطة فى أداء الحج فكرت الشركة — فيما فكرت فيه — فى إيجاد محلات لائقـة لهم بجدة ومكة المكرمة — فاستأجرت منزلين بهما زودتهما بكل وسائل الراحة ، وبالأدوات الصحيـة العصرية ، والأثاث الوثير الفاخر ، والأطعمة النظيفة ، وجهزتهما بالثلاجات والمراوح الكهربائية وبالنور الكهربائى ، فأصبح لاعذر من هذه الوجهة — حتى لمن تعودوا الترف والرفاهية — فى عدم القيام بفريضة الحج . وكل ذلك بأجور غاية فى الاعتدال لاتتجاوز جنيهاً مصرياً عن كل يوم بما فى ذلك الأكل والنوم عن الشخص الواحد للسرير الواحد

نعم إن عدد الأسرة محدود فى الوقت الحالى ، ولكن مع زيادة الاقبال ستفكر الشركة فى زيادة الأماكن

ويمكن حجز الأسرة من مكتب الشركة أو بالباخرة أو بذات المنازل بجدة ومكة

وزيادة فى راحة الحجاج قبلت الشركة اقتراح « قومسيون نقل الحجاج » الخاص بالقيام بتقديم الغداء لهم بالبواخر فى جميع الدرجات — فقامت بذلك فى العام الماضى وستقوم فى هذا العام بتقديم الغـداء النظيف الصحى لهم جميعاً مغتبطة بعملها الذى تقصد به وجه الله قبل أن تنظر إلى الربح

فهى تقدم الى ركاب الدرجة الثالثة الخبز الكافى والأطعمة الصحية من الخضار واللحم والأرز والحلوى والجبن والزيتون للفطور والغداء والعشاء بكميات وفيرة — وهى التى تشرف على شراء القمح وطحنه وعجنه وخبزه لتستوثق من أنها تقدم خبزاً جيداً نظيفاً غير مخلوط — كما تشرف على شراء الزبدة وتسييحها ، وعلى شراء العجول والخراف الجيدة السليمة ، وعلى ذبحها وطبخها لتقدم غداء شهياً صحياً كما قدمنا

وكل هذا بثمن زهيد قدره ٤٠ قرشاً عن كل حاج بالدرجة الثالثة طول مدة السفر بحراً ذهاباً وإياباً

رابعاً — الاتفاق تام بين الشركة والحكومة الحجازية على

بذل قصارى الجهد من جانبها لتمهيد الطرق وتوفير الوســـائل الصحية والاجتماعية لراحة الحجاج

وقد تبرعت الشركة والبنك وبعض أهل الخير بمبالغ لاتمام المستشفيات فى مكة المكرمة ، وتجهيزها بأحدث الآلات الجراحية وأشعة رنجتن ليمكنها القيام بأجل الخدمات لحجاج بيت الله الحرام على اختلاف أوطانهم ولأهل البلاد أنفسهم

وهذا فوق أنه عمل إنسانى جليل يزيد فى إطمئنان الحجاج ، وتشجيع الاقبال على استكمال هذا الركن من الدين

وبما أن الحرب العالمية أثرت أكبر تأثير فى رخاء المدينة المنورة ويسر أهلها حتى هاجر معظمهم وأصبح الباقون ــ من حضر وبادية ــ فى ضنك عظيم يفتت الأكباد ، كانت العناية بشئونهم واجبة ، وفى مقدمة ما يعنى به دراسة حالة تلك الربوع ، وأهل باديتها لعل الله يوفق لمشروع يشغل بعض الأيدى العاطلة ويشحذها لعمل فيه خير ورزق لهم ، ويرد للمدينة بعض رونقها القديم

خامساً ـ اتفقت الشركة مع الحكومة الحجازية على دراسة مشروع تعبيد محل السعى بين الصفا والمروة ليكون أكثر انطباقاً لما يقتضيه من الاجلال والاحترام . وعلى منع انهيال الأتربة عليه ، وتدفق السيول التى تغشاه فى أكثر الأوقات بل وتتعداه إلى المسجد الحرام

وقد أرسلنا بعض الخبراء لدرس المشروع ووضع التصميمات والتقارير اللازمة لعرضها على الحكومة الحجازية والتفاهم على تنفيذها

سادساً ـ البحث جار فيما إذا كان من التيسر إيجاد خط جوى بين جدة والمدينة لتيسير الزيارة لكثيرين ممن يستصعبونها الآن ، وإذا نجح المسعى نتمكن من تنظيم خط جوى بين جـدة والمدينة مرتين أو ثلاث مرات فى اليوم

فيتمكن الحاج من تأدية الزيارة والعودة فى يوم واحـد أو يومين لمن أراد المبيت . وفى هذا كسب الزيارة لمن لا يجد فى وقته متسعاً لها ، أو لمن تمنعه المتاعب من القيام بها ، وربح لأهل المدينة بسبب زيادة عدد الزائرين

سابعاً ـ أوجدت الشركة على « كوثر » كما أوجدت فى العام الماضى على « زمزم » مسجداً للصلاة ومكتبة بها كثير من كتب الدين والأدب وغيرها ، كما أن بها علماء يحاضرون الحجاج فى أمور دينهم

ثامناً ـ أوجدت الشركة بالسويس لراحة الحجاج أو عائلاتهم الذين يحضرون قبل ميعاد السفر أو يرغبون فى الاستراحة قبل مغادرتهم السويس فى العودة « فندقاً » مستوفياً شروط النظافة والراحة ، نسأل الله عزوجل أن يجعله نواة شركة للفنادق المصرية تقوم بأيدى المصريين وأموالهم ، وقد سميناه من باب التيمن « لوكاندة مصر »

تاسعاً ـ سيجد حجاج بيت الله الحرام على الباخرتين مكتبين لبنك مصر لتبديل العملة المصرية بالذهب أو بالريالات السعودية ولتبديل هذه بالعملة المصرية ـ حين العودة ـ ولقد رأى من حج منهم فى العـام الماضى أى تسهيل عملنا . ولعلهم يذكرون أننا صرفنا لهم العملات الذهب والسعودية بأسعار أرجح مما كانت تصرف به فى جدة أو مكة

وإذا صح ما أذاعته الجرائد من أن الحكومة المصرية السنية تريد أن تكلفنا بصرف جنيهات ذهبية لحسابها الى الحجاج فنحن مستعدون للقيام بهذه العملية بالسعر الذى تحدده الوزارة ، فيمتنع ما أذاعه فى العام الماضى بعض المغرضين الذين لم يقفوا على حقائق الأمور — إذ ظنوا أننا أخذنا الذهب من الحكومة بالسعر الذى تشتريه هى به من السوق المصرى وبمناه بالأسعار العالمية ؛ على أن الحكومة قد باعت لنا الذهب فى العام الماضى بسعره فى « لوندرة » يوم البيع حتى دون استبعاد نفقات نقل الذهب براً وبحراً والتأمين والمحافظة عليه والقيام بمهمة المصارفة

ومع كل ذلك فقد بعنا الذهب للحجاج بأقل من الأســـعار التى وجدوها فى جدة ومكة ببضعة قروش فى الجنيه . وقد بعنا للحجاج الريالات السعودية بثمن يرجح السعر الذى وجدوه بجدة بنحو نصف ريال سعودى فى الجنيه ، ومن صرفنا لهم بمصر بسعر أقل قبل معرفة حقيقة السوق رددنا لهم الفرق إما بالباخرة أو بالقيد لحسابهم الجارى لدينا بمصر ، أو بصرفه لهم نقـداً بعد عودتهم ، ولم نسمع فى تاريخ البنوك بمثل هذا

وقد عملنا الترتيب اللازم بحيث يرد لنا يوم قيام الباخرة من السويس تلغرافات بالسعر الحالى لكل العملات بجدة لنصرف للحجاج ما يلزمهم بأسعار أوفق لمصلحتهم

وفى حال تكليفنا من الحكومة بصرف الذهب لحسابها

يكون ذلك بالسعر المتفق عليه ويعلن للحجاج

ولتسهيل قبض تحاويل بنك مصر على الحجاز ولراحة الحجاج قد جعلنا الصرف بجدة من محل وكلائنا بها « الحاج عبد الله رضا وشركاه » وقد عينا منـدوباً للبنك بمكة بمنزل شركة مصر للملاحة البحرية لخدمة الحجاج وتأدية طلباتهم المـالية وصرف التحاويل بها

واتفقنا فى المدينة المنورة مع « حضرات الشيخ عبد العزيز الخريجى وشركاه » على أن يكونوا وكلاء فى ذلك وهم من أشهر تجارها

وأمامنا مشروع بخصوص العملة سنعرضـه على حكومتنا السنية عسى أن تقره للمواسم المقبلة ، ففيه تحقيق مصلحة الحجاج وعدم غبنهم على قدر الامكان . وإذا نجح هذا المشروع — ولا ندرى لماذا لاينجح — أتيح للحاج أن يحج ويعود دون أن يكون مضطراً لحمل نقود معه

فبنك مصر يتولى حينئذ شئونه المـالية من البيت للبيت — على حد تعبير مصلحة السكة الحديد — فيدفع عنه بالحجاز كل الرسوم والضرائب وأجور المطوفين والأتومبيلات والجمال مما هو مقرر فى التعريفة بحساب الذهب ـ ويقدم له هناك ما يحتاجه من عملة سعودية لنفقاته المحلية المقررة بهذه العملة

وقد وافقت حكومة الحجاز على هذا المشروع الذى يضع حداً لفوضى تبديل العملة والتلاعب فيه ، ولا يبقى إلا أن يعرض على حكومتنا السنية حتى إذا ما بدت لها مزايا ما فيه من عدم غبن الحجاج أقرته ، وعملت على تنفيذه محاطاً بكل مايضمن مصلحتهم

عاشراً ـ أفردنا محلا فى كل من الباخرتين لبيع الاحرامات (من بفتة وبشاكير) لمن يرغب فيها من الحجاج ، وهى من صناعة شركة مصر للغزل والنسج وأثمانها معتدلة

وحتى لا يطيل الحجاج فى عودتهم المكث فى جدة ـ رأت الشركة أن يكون نقلهم من جدة للطور على «زمزم» ومن الطور إلى السويس على « كوثر » وهذا تسهيل كبير لهم ووفر فى الوقت

مما تقدم ترون الجهد الجهيد الذى تبذله شركة مصر للملاحة البحرية ، ويبذله بنك مصر لتوفير أسـباب الراحة والطمأنينة لحجاج بيت الله الحرام كتب الله لهم السلامة فى الذهاب والاياب ووفقنا لخدمتهم وتوفير أسباب الراحة والأمان لهم أينما كانوا وحيثما حلوا

وكل ما نطلبه من حجاج بيت الله الحرام هو أن يعاونونا على حفظ النظام والمواعيد وألا يكونوا سبباً فى إثارة الخواطر بين تلك الربوع المقدسة ، وليعلموا أننا لانريد إلا راحتهم ، فان وقع تقصير فمن غير قصد ، ولنا من حسن نيتنا خير شفيع . (وما هجرتنا إلا الى الله ورسوله).

ولما كانت العصمة لله ، وما نحن إلا بشر نخطىء ونصيب ، فانا على أتم استعداد لسماع أية ملاحظة بريئة ، أو أية شكوى نزيهة ، أو أية نصيحة خالصة ، أو إرشـاد نافع ، الى ما يكون من ورائه تحقيق أمانينا جميعاً التى تنحصر فى وجوب العناية بحجاج بيت الله الحرام والسهر على راحتهم ابتغاء مرضـاة الله تعالى الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا

فبراير ١٩٣٥ محمد طلعت حرب

اليوم يصدر :

الجزء الثانى

من

ضحى الإسلام

لمؤلفه

أحمد أمين

يبحث فى نشأة العلوم فى العصر العباسى الأول

وتاريخ كل علم تفصيلا

يطلب من لجنة التأليف والترجمة بشارع الكرداسى نمرة ٩

وثمنه عشرون قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد

القصص

كانديلورا
CANDILORA

بقلم لويجى بيراندللو

صاحب جائزة نوبل لعام ١٩٣٤

« لم يعرف للقصصى الايطالى النابغ لويجى بيراندللو ، الذى فاز بجائزة نوبل الأدبية عام ١٩٣٤ ، قصة كلاسيكية تجلت فيها مقدرته الفنية الرائعة ، وتبينت فيها نظرته الفلسفية : (هذا أو ذاك . . .) مثل ما تجلت فى هذه القصة . »

أنزل المصور الفنان « نين بابا » حافة قبعته بيديه الغليظتين ساعة أن قال لزوجته « كانديلورا » : « لا فائدة ترجى . صدقينى يا عزيزتى أن لا فائدة ترجى . »

وصرخت كانديلورا مهتاجة : « وأى فائدة ترجى إذاً ؟ أفى معاشرتك ليُقضى على من الغضب والمائدة ؟ »

ورد عليها نين بابا فى هدوء : « نعم يا حبيبتى . ولـكن دون أن يُقضى عليك . بقليل من الصبر . أنظرى ، سأذكر لك شيئاً . « شيكو » . . . . »

ـ « إننى أمنعك من تسميته بهذا الاسم . »

ـ « ألا تسمينه كذلك ؟ »

ـ « نعم ، ولأنى أنا أسميه هكذا »

ـ « هه . . . حسن . لقد ظننت أنى أرضيك بهذا . أيجب أن أسميه البارون ؟ البارون . أريد أن أقول إن البارون يحبك يا حبيبتى كانديلورا ، ويبذل المال فى سبيلك . . . . »

ـ « فى سبيلى أنا يبذل المال ؟ يا سافل ! ألم يبذل من أجلك مالاً أكثر ؟ »

ـ « لو أنك تركت لى الكلام . . . هو يبذل المال من أجلى ومن أجلك . ولـكن انظرى ، ما معنى أنه يبذل من أجلى مالاً أكثر ؟ كونى منطقية مع نفسك . إن معنى ذلك أنه لا يقدرك إلا لأنك فى ظلى الذى أخامه عليه . هذا مالا يمكن إنكاره . »

وتميزت كانديلورا من الغضب وقالت : « ظل ؟ من شماع لمثل هذا . . » ورفعت قدمها مشيرة إلى حذائها ، ثم استطردت قائلة : « لم يلحقنى منك إلا العار ، العار ولا شىء إلا العار ! »

وتبسم نين بابا وأجاب بهدوء أكثر من ذى قبل : « كلا ، أستميحك المعذرة : إن العار يلحقنى أنا ، فيما إذا ما تكلمنا عن العار . إننى الزوج . وهذا أهم شىء ، صدقينى يا لوريتا . ولو لم أكن زوجك ، ولم تعيشى فى ضيافتى تحت هذا السقف ، لفقدت كل جاذبية ، أتفهمين ؟ هنا يمكن للجميع أن يدللوك دون أن يخشوا عقاباً . والجميع يتمتعون متاعاً عظيما بقـدر ما تلحقين بى من عار وشنار . وبدونى يا لوريتا تصبحين شيئاً تافهاً شديد الخطورة ، وما كان شيكو . . . البارون ليبذل . . . ماذا أنت فاعلة ؟ أتبكين ؟ لا ، لا ، انظرى . . إننى لا أقول إلا هذراً . »

واقترب نين من كانديلورا . وأراد أن يمسك بذقنها ، ولـكن لوريتا قبضت على ذراعه ، وفتحت فاها كحيوان مفترس وعضته ، وطالت عضتها دون أن تتهاون . وكانت أسنانها تغور باستمرار فى الذراع ، بينما كان هياجها يزداد . وانحنى نين حتى يمكنها من ذراعه ، وأطبق على أسنانه وابتسم هادئاً للألم المروع الذى سببته له . وازدادت عيناه ضياء واتساعاً . ولما أن انفكت أسنان كانديلورا عن ذراعه ـ وكأن حملاً قد أزيح عنه ـ أحس بأن موضع ما أكلت جرح من النار ، ولم ينبس بكلمة . وأخرج فى هدوء ذراعه من ردائه ، ولـكن القميص لم يطاوعه ، إذ كان قد غرز فى اللحم الحى . وانطبعت على كم القميص بقعة من الدم ، دائرة دموية ، هى دائرة أسنان كانديلورا القوية . وكان أثر الواحدة بجانب الأخرى ظاهراً ، وأخيراً تمكن نين من إخراج كم قميصه ، والابتسامة لم تفارق وجهه الشاحب . وكانت رؤية الذراع وحدها تشيب . فموضع أثر كل سن فى الدائرة جرح . وكان اللحم المحيط بالدائرة قد اسود لونه . قال نين مظهراً لها ذراعه :

« ألا ترين ؟ » وصرخت كانديلورا ، وهي ملقاة على المقعد تتمشدق : « هكذا أريد أن أعض قلبك ! » وأجاب نين : « هذا ما أعرفه . وهذه الرغبة تقنعك بأنه أولى لك ألا تتركيني . اذهبي بالقيمة ، وأتني بصبغة اليود والشاش المعقم والرباط . جميعها في الخانة العليا من مكتبي يالوريتا . هي الثانية من اليمين . إنني أعرف أنك حيوان صغير مفترس يحب العض ، ولهذا أحرص دائماً على الضمادات اللازمة »

وأمسكت كانديلورا بذراعه ونظرت في عينيه وشفعتها بنظرة قصيرة إلى ذراعه ، وأعجب نين بها ساعة هذه النظرة

لكانديلورا سحر في اللون والحركة ، وهي تشحذه للعمل . فعينا الفنان تكتشفان في هذه المرأة أشياء أبداً جديدة ومتمددة . في هذه الظهيرة تبدو وهي في حديقة المنزل ، وتحت شمس شهر أغسطس المحرقة ، التي تنشر ظلالاً حادة في كل مكان ، ولها أثر مخيف . وكانت في نفس الصباح ، حينما آبت من حمام البحر حيث قضت بضعة أسابيع محترقة الجلد سمراء اللون من فعل الشمس وملح البحر ، لون شعرها منطفىء ، وضاءة العينين أشبه ما تكون بمنز تشتهي النوم . وكانت بذراعيها العاريتين الفتولتين وبكفلها النامي تظهر في كل حركة بسيطة أن رداءها الأزرق الحريري الذي يناقض لون جسدها ويلتصق به يكاد يتقطع . وكان هذا الرداء مدعاة للسخرية . لقد كانت كانديلورا تقضي نصف يومها عارية تمرح على شاطئ البحر المتمزل ، وترقد بجسمها الصامد على الرمال المتقدمة من حرارة الشمس الملتهبة ، بينما كانت تشعر بنسيم البحر البارد يهب على قدميها . فكيف لهذا الرداء الأزرق أن يخفي عراها ؟ لقد ارتدته مجاملة للعرف ، ولكنه في الواقع أظهرها في حالة غير محتشمة أكثر مما لو كانت عارية

ومع كل ما كانت عليه من غضب لحظت في عينيه إعجابه بها . وسرت إلى شفتيها بفعل الغريزة ابتسامة الرضا . واستاءت لساعتها من فعلتها هذه . وانقلبت ابتسامتها ضحكة استهزاء . وصارت ضحكة الاستهزاء فجأة نحيباً وشهيقاً وهربت إلى المنزل

وأخرج نين بابا لسانه لها دون وعي وهو يرقب مسيرها . ثم نظر إلى ذراعه المجروحة التي تشع ألماً محرقاً من فعل حرارة الشمس . ثم شعر فجأة أن عينيه اغرورقتا بالدموع . ومن يعرف السبب ؟ وتحت تلك الشمس المحرقة في وسط الحديقة حيث الظلال الحادة مترامية شعر نين بابا بأنه كاد ينزعج من وجود أشياء عدة لاحراك بها من حوله : الأشجار ، وجذوع أشجار البلوط ، والأحواض المركزة على جوانبها صخور صناعية ، وسطح الماء الأخضر ، والمقاعد . ماذا تنتظر كل هذه الأشياء ؟

إنه يمكنه أن يتحرك وأن يسير . ولكن يا للغرابة ! كأن كل هذه الأشياء التي من حوله ولا حراك بها تنظر إليه . ثم هي لا تنظر إليه مجرد النظر بل ترسل إليه سخريتها في سحر يشع من جمودها العجيب ، وصورت له أن قدرته على المسير ليس من ورائها طائل ، إلا أن تظاهره بمظهر الغباوة الداعية للسخرية

وهذه الحديقة تمثل ثراء البارون شيكو . وهنا سكن نين بابا منذ ستة شهور ، إلا أنه لم يشعر بالاشمئزاز من نفسه ومن كانديلورا إلا في صبيحة أمس ؛ وحين آبت الساعة من البحر تجسم وزره ووزر عراها أمام عينيه . غير أنه اضطر إلى الضحك ساعة أن قالت له تهرّب الآن من هذا العار . وقد أفصحت له أنها تبني ذلك

حقاً إن صور نين بابا ستلقى رواجاً بعد الآن . وأن قيمة فنه الجديد الخاص به قد بلغت أخيراً أعلى مرتبة . وليس ذلك لأن الناس حقاً فهموه ، ولكن أمزجة الأغنياء من زوار معرضه وعقلياتهم تنقاد لحكم النقد الفني فيقفون إزاء لوحاته معجبين

النقد ؟ وأيضاً كلمة النقد لا وجود لها في غير سراويل النقدة . والناقد الذي قصدته كانديلورا وجلة يوماً ما ، لكي ترجه في وجهه بأنه غير عادل حين يؤدي بفنان مثل نين بابا إلى التهلكة جوعاً — ذلك الناقد النافذ الكلمة دون غيره ، كتب مقالاً عظيماً يلفت به أنظار المترددين إلى فن نين بابا الجديد والطابع الشخصي فيه . ولكنه طلب أجراً مقابل اعترافه بالفنان . على ألا يدفع هذا الأجر نقداً ، بل شكراً حيوياً تقدمه كانديلورا له . ولم يكن من كانديلورا إلا أن قدمت دون تريث هذا الشكر جزيلاً . غير قاصرة على ذلك الناقد ، بل عممت هذا الشكر للذين أعجبوا بفن زوجها ، ذلك الفن الجديد . فقد ملكتها نشوة فرح لانتصار زوجها . وشكرت الجميع وبخاصة البارون شيكو ، الذي جرى في ذلك إلى حد أن ترك للزوجين منزله ، حتى يكون له شرف إيواء فنان معذب . . .

مسكينة كانديلورا ! لقد خافت الفقر وقالت إن الفقر ليس هو الحاجة ولا الذل . وإنه ليس لما حق فيما يكسبه زوجها . ودفعتها عدم أهليتها هذه للانتقام . وعلى أي صورة ؟ منزل . سيارة . قارب

بخارى ، حلى . جواهر ثمينة ، تنزهات خلوية . أدوات زينة . مآدب . . . . ولم تشعر هى بغضب منه ، إذ بقى دون أن يتغير فى شىء . فلا هو حزين ولا هو فرح ، ولا زال مهملاً فى هندامه كما كان . وليست له بهجة فى غير ألوانه . لا يعرف مطلباً سوى التفرغ لفنه ، حتى يصل إلى القرار ، القرار الساكن ، كى لا يرى شيئاً من صور الحياة الوضعية التى تحيط به

من المحتمل ، كلا ، بل بكل تأكيد أن تلك الحياة الوضعية ـ حلى لوريتا والترف والدعوات والمآدب ـ تدل على شهرته . شهرته وعاره ـ ولم لا ؟ وماذا يهمه من أمر ذلك ؟

إنه يقدم روحه وكل مافيه من حياة للمتعة بورقة يدخل عليها الحياة برسمه ، بينما يصير هو لحماً ودماً وشرايين لتلك الورقة . أو للمتعة بحجر صلب لاحس فيه ليجعله فوق لوحته حجراً حياً حساساً ، هذا كل مايعنيه

عاره ؟ حياته ؟ حياة الآخرين ؟ سباب الأجانب الذى لا فائدة من الانصات اليه ؟ إنه لا يحيا إلا لفنه ، وهو العمل الذى يتمخض عنه النور والألم ويتمثل فى روحه

وقال هذا الصباح للوريتا وكأنه فى عالم آخر إنها تعجبه ـ دون أن يعير الأمر اهتماماً خاصاً ـ حقاً إنها أعجبته ، لأنها ارتضت أن تكون شريكة مطيعة فى الحياة ، غير عابئة بالفقر ، شريكة قنوعاً راضية ، له أن يطمئن الى صدرها ، وطبيعى أن تهاجمه لوريتا كنمرة . ولكن ماذا تفعل بعد ذلك ؟ ألا تعود بصبغة اليود والشاش المعقم والضماد ؟ لقد صمدت المسكينة باكية

الآن يجب أن يحب لوريتا . ولربما كان ذلك رد فعل لعدم مبالاته . أليس ذلك جنوناً ؟ ولو أنه كان يحبها حقاً لحق عليه قتلها . عدم المبالاة هذا ضرورى ، هو المقدمة التى لامفر منها ، وليتحمل العار الذى تمثله الى جانبه . أيهرب من هذا العار ؟ كيف يمكن ذلك . وكل منهما قد رأى هذا العار ليس بعيداً عنه ولا محيطاً به بل رآه فى نفسه أيضاً . والسبيل الوحيد هو ألا يهتم كلاهما بذلك . فهو يتابع تصويره وهى توالى تمتعها بشيكو مؤقتاً ثم بغيره أو به مع غيره فى وقت واحد ، فرحة غير حاملة هماً . إن الحياة . . . لاشىء . وهى تسير على هذه الوتيرة أو تلك ، دون أن تترك أثراً . ويجب على الانسان أن يضحك من الأشياء التى ولدت خبيثة والتى ليس لها من الكيان ما يغرى ، أو لها كيان ، ولكنه قبيح يجعلها تتألم الى أن تصبح رماداً مع الزمن . وكل شىء يحمل طيه آلام تكوينه ، آلام مصيره الذى لاقدرة له على تغييره . وهذا هو الجديد فى فنه ، إذ يجعل أشخاصه يشعرون بذلك الألم . وهو يعرف جيداً أن كل أحدب عليه أن يعرف كيف يحمل حدبته معه . وينطبق ذلك على الوقائع كما ينطبق على الأشخاص . فاذا ما كانت الواقعة واقعة فستبقى كذلك دائماً أبداً ، ولن تتغير . فكانديلورا مثلاً لو أنها بذلت أقصى جهدها لتصير خلواً من العار كما كانت أصلاً عندما كانت فقيرة لما استطاعت . ولعل كانديلورا لم تك قط خلواً من العار حتى فى أيام طفولتها . وإلا لما أمكنها فعل مافعلت ، ثم هى تفرح لعملها هذا

وتحت حرارة الشمس انقبض الدم فى موضع العضة من ذراعه ، وتجمد سطحه وازداد نبضه وانتفخت يده وتوترت شرايينه

واستفاق نين بابا من تأملاته وخطا نحو المنزل ونادى مرتين عند مدخل السلم وفى المشى :

« كانديلورا ! كانديلورا ! »

ورن صدى صوته فى الغرف الخالية ولم يجبه أحد . دخل فى الغرفة المجاورة لمحل عمله Atelier ومكتبه ، ولكنه تراجع من هول ما رأى . كانت كانديلورا منبطحة على أرض الغرفة البيضاء المفعمة بالنور . ورداؤها فى غير انتظام . وكأنها دارت حول نفسها فانكشف فخذها . أسرع اليها ورفع رأسها ، يا إلهى ماذا فعلت ؟ الفم والذقن والرقبة والصدر يضرب لونها بين السواد والصفرة : لقد شربت صبغة اليود

ثم ناداها قائلاً : « إنه لاشىء ! لاشىء ! ما هذه الفعلة الحمقاء ياحبيبتى كانديلورا . يا طفلتى . . . إنه حقاً لا شىء . إنه يؤذى المعدة طبعاً . قئ »

وحاول أن يوقفها على قدميها ؛ ولكنه فشل ، إذ أن المسكينة قد تصلب جسمها من شدة الألم . ومع ذلك لم يقل لها مسكينة ، بل قال : « طفلتى . . . ! طفلتى . . . ! » ذلك لأنه ظن أن تجرعها صبغة اليود أمر تافه منزر . « طفلتى ! » رددها ثانية ، وقال لها (ياصغيرتى الحمقاء) . وحاول أن يستر فخذها بالرداء الأزرق فقد أصاب منه نظراً ، وأدار عينيه الى الناحية الأخرى حتى لا يرى فيها الأسود

[البقيـــة على صفحة ٢٠٠]

من روائع الشرق والغرب

الوادى

LE VALLON

لشاعر الطبيعة والجمال لامرتين

تعب قلبى من كل شىء حتى من الأمل ،
فلن يُثقل بعد اليوم بأمانيّه على القدر ،
فأعرنى يا وادىَ صباى وأحلامى ،
ملجأ يوم انتظر فيه موافاة حمامى

* * *

ذاك هو الشِّعب يضرب فى حنايا الوادى ،
والغابات الكثيفة تقوم على سفوح الرُّبى ،
وأدواحها الحانية تلقى الظلال على جبينى
فتملأ شعاب نفسى بالسكون والغبطة

* * *

وهناك جدولان اختفيا تحت أعراش الخضرة ،
يرسمان فى انسيابهما منعطفات الوادى ،
ثم يمتزج منهما الموج بالموج والخرير بالخرير ،
ويفنيان وهما من المنبع على مدًى قصير

* * *

كذلك جرى نبع أيامى جريان هذين الجدولين ،
ثم ذهب من غير هدير ولا سمة ولا رجعة !
ولكن ماءهما كان صافياً شديد الصفاء !
أما نفسى فلم يتراءَ فى كدرها صفو ولا هناء !

* * *

إن طراءة الجدولين وبرودة الظلال ،
تعقلانى طيلة النهار على ضفافهما الخصيبة ،
أهدهد نفسى على خرير مائهما السلسال ،
كما يُهدهَد الطفل على المناغاة الرتيبة (١)

* * *

آه ، حبذا المقام هنا بعيداً عن الناس وحيداً مع الطبيعة !
يحيط بى سور أخضر من رياض الأرض ،
ويقوم حوالىّ أفق محدود فيه مجال للبصر ،
فلا أسمع غير همس الموج ولا أبصر غير وجه السماء

* * *

لقد رأيت كثيراً وأحسست كثيراً وأحببت كثيراً
ثم جئت هنا حيّاً لأبحث عن هدوء (ليتيه) ! (٢)
فيا أيها الوادى الجميل ! كن لى ذلك
النهر الذى يُذهب بالنسيان هموم القلب !
فنى النسيان وحده منذ اليوم سعادتى ونعيمى

* * *

إن قلبى فى رخاء ونفسى فى سكون ،
وإن ضوضاء العالم لتفنى قبل أن تصل إلىّ
كالنغم البعيد يخفت على طول المدى
ثم لا يقع منه فى الآذان إلا صدى

* * *

من هذا المقام ومن خلال ذاك الغمام
أرى الحياة حولى تغوص فى غيابة الماضى ،
فلم يبق ماثلاً غير الحب يقوى ويتجدد ،
كالصورة الكبيرة تبقى على اليقظة من حلم تبدد

* * *

استروحى يا نفس فى هذا الملجأ الأخير ،
كالمسافر اللاغب يجلس على باب المدينة ،
وقلبه ذاخر بالأمل والطمأنينة ،

---

(١) الرتيبة التى تسير على نمط واحد : monotone
(٢) Léthé هو فيما تزعم الأساطير الوثنية نهر من أنهار الأنفير Les enfers وهو مقام الأرواح بعد الموت ، تشرب منه هذه الأرواح فتنسى ماضيها ، وليتيه معناه النسيان

فيستنشى قبل أن يدخل نسيم المساء العبيق

* * *

فلننفض عن أقدامنا الغبار كما نفض هذا الرجل المجهود ،
فانا لن نسلك هـــذه الطريق مرة أخرى !
ولنَنْشَقْ مثـــله فى آخر المدى المحـــدود ،
نفحاتِ الهـــدوء المبشر بالسلام الدائم

* * *

إن أيامك الكئيبة القصيرة كأيام الخريف ؛
تنقبض انقباض الظلال عن حوادر الهضاب !
فالصداقة تغدربك ، والرحمة تتخلّى عنك ،
وتقطع وحدك الدرب الى عالم القبـــور

* * *

ولكن الطبيعة هناك تُهيب بك وتحنو عليك !
فألق نفسك فى أحضانها التى لاتتجافى عنك ،
فان كل شىء يتنكر لك وينزوى عنك إلا الطبيعة ،
فجوُّها هو الذى ينضـــح على آلامك ،
وشمسهـــا هى التى تشرق على أيامك

* * *

بالأشعة والظلال لا تزال تحيطنا الطبيعة .
فطهر قلبك من الغرور الباطل والمتاع الزائل ،
واعبد هنا الصدى الذى كان يعبده فيثاغورس ،
وأرهف أذنك مثله لموســـيقى السماء .

* * *

ثم اتبع الشمس فى السماء والظل فى الأرض ،
وطِرْ فى السهول مع ريح الشـــمال ،
وجُس مع شـــعاع هذا الكوكب الهادى
خلال الغابات فى ظلال هـــذا الوادى .

* * *

إن الله خلق العقول لتدركه ،
فاكتشف فى الطبيعـــة خالق الطبيعـــة ؛
فان صوتاً لاَيني يُحدث المرء عن ربه ،
ومن ذا الذى لم يُصغِ إلى هذا الصوت فى قلبه ؟

الزيات

صائب التبريزى (١)

أبيات شتى

١ — نحن كالقِسىّ : نصيبنا من صيدنا انحناء ظهورنا ، وكل ما نحوز لغيرنا

٢ — ليدى جرأة غير ما عهد الناس ؛ لا تجنى غصناً غفل عنه الحرّاس

٣ — ليس الظالم بنجوة من سهام آهات المظلوم ، إن أنين القوس قبل أنين الهدف المكلوم

٤ — يا رب من دعا علينا أن نكون كقافلة الأمواج : ليس فى سفرنا للاستراحة منزل

٥ — ليس اطمئناناً سكون القلب فى مصابه ، ولكن ضاقت الدنيا عن اضطرابه . إن خفقان النجم يصيح فى لوعة : ليس هذا البناء المموج مكاناً للدعة

٦ (٢) — خُتم المجلس ليلاً بحديث طرتك المسلسلة ، فنهض كل من نهض وفى رجليه سلسلة . إن الأعصار الذى هبّ فى هذه الصحراء ، روحه المجنونة الحائرة يلفّها الغبار فى الفضاء

٧ — إن الجذبة التى سلبت كفّ المجنون العنان ، بدأت فقطعت من محمل ليلى الزمام

٨ — ليست أوجه الاثنتين والسبعين ملة إلا إلى هـذه السدة ؛ ترى عالماً حيران ، ولم يضل أحد طريقه

٩ — إن قطرة من الدموع تكفى لخراب العالم ، كما تبدد قطرات الماء نوم النائم

١٠ — ولّ وجهك شطر الحانة ثم انظر طمأنينة القلب — انظر عالماً فارغاً من فكر الغد ، إنك تطبق كالحباب عينك فترى نفسك ، ولو فتحت عينك للضياء ، لأبصرت فناءك فى هذه الدأماء

١١ — إن عينى لتطير كالشرار الى نوم الفناء ، كلما بعدت عن وجهك النارىّ الوضاء

١٢ — أضاء فى كل ظفر هلال للعيد ، ليلة تناولت كأساً من ذكرك السعيد

عبد الوهاب عزام

(١) محمد على صائب التبريزى من كبار شعراء الفرس ، توفى فى اصفهان سنة ١٠٨٧ هـ .

(٢) القطع الآتية مشربة بالمعانى الصوفية

الكتب

ضحايانا الأطفال

تأليف أجنس دى ليما

ترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف

طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر وثمنه ١٠ قروش

تعتبر تربية النشء وإعدادهم للحياة من أهم المسائل وأجدرها بعناية أولى الأمر وسواهم من المربين والكتاب؛ وتشعر مصر فى نهضتها الحالية بشديد الحاجة إلى تقرير سياسة عامة تأخذ بها فى تربية أبنائها ، ذلك أنها قضت زمناً طويلاً تحت تأثير عوامل مختلفة امتد خطرها فشمل جميع نواحى الحياة ، وفى مقدمتها أمور التربية والتعليم ، فقد أحكمت الأغلال وأقيمت العراقيل فى تلك الناحية الجوهرية من نواحى التقدم ، وكانت نتيجة ذلك أن أصبحت سياسة التعليم عندنا مهلهلة ، وصارت ثقافتنا مذبذبة ، وظلت مصر فى لبس من الأمر تسير إلى غير قصد ، ولا تستند فى سيرها إلى مبدأ

لذلك يحق لنا أن نغتبط بكل بحث فى التربية يضطلع به من تأخذه الغيرة من أبناء مصر ، ولقد اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر ، أن تضم إلى مجهوداتها المتنوعة فى نشر الثقافة إصدار سلسلة من كتب التربية بين معرب ومؤلف ، تحت إشراف الأستاذ اسماعيل القبانى تحاول فيها كما جاء فى مقدمة الأستاذ فى هذا الجزء الأول من السلسلة ، « أن تبسط على التتابع النظريات والاتجاهات السائدة فى عالم التربية فى الوقت الحاضر ، والأسس الاجتماعية والسيكولوجية التى تقوم عليها ، وأساليب تطبيقها فى مختلف الظروف والبيئات ، ونتائج التجارب التى أجريت عليها » وغاية القائمين بهذا العمل الجليل أن يمهدوا السبيل لأن « تكون لنا فلسفة للتربية توفق بين أحدث الآراء فى العالم من جهة ، وأغراض النهضة القومية التى لاح فجرها فى مصر من الجهة الأخرى »

وهذا الكتاب ، الذى أحدثك عنه هو الحلقة الأولى من تلك السلسلة المباركة اضطلع بترجمته الأستاذ الجليل محمد عبد الواحد خلاف مدير إدارة الجمعية الخيرية الاسلامية ، فأخرجه على الرغم من شواغله الجمة على خير ما يرجى من جمال سبك وحسن نظام

ولهذا الكتاب فى موضوعه ، وفيما انتهج من طريقة أهمية فريدة ، ذلك أنه ليس من تلك الكتب التى تتناول موضوع التربية من ناحيته الجافة ، ناحية النظريات العلمية المجردة التى تهتم بالقضايا دون الوقائع ، أو بعبارة أخرى تهتم بمبادىء العلم دون من تنطبق عليهم تلك المبادىء من الأطفال ، فان تلك الكتب النظرية فى منحاها محصورة الفائدة ثقيلة فى الغالب تتطلب من القارىء صبراً طويلاً ، وجهداً كثيراً ، لكى يستخلص منها ما يرجو من فائدة ، وإن كان ما يصيبه منها فى النهاية متعلقاً بقواعد العلم أكثر منه بغايته

وإنك لتستبين روح الكتاب من عنوانه ، فمؤلفته تنكر النظم المدرسية التقليدية ، وتعتقد أننا نضحى بأولادنا ونعاملهم كما لو كانوا أعداءنا بإلقائهم فى تلك الأبنية التى هى أشبه بثكنات الجند ، حيث يكتنفهم جو خانق يفيض من قوانين ونظم ، يؤخذون بها أخذاً فى كل صغيرة أو كبيرة من حركاتهم ، وحيث يجرعون من مواد الدراسة مالا غنية فيه من معلومات يسأمونها وفنون من القول والعمل يساقون اليها فى طرق عسكرية ، توبق أرواحهم ، وتطمس على قلوبهم وتغل نشاطهم ، وتحول بينهم وبين الاستقلال الشخصى والنبوغ الذاتى

ولن تقف المؤلفة فى كتابها موقف الهادم ، بل إنها تسلك طريقة إيجابية ، فتعرض على القارىء كثيراً من التجارب العملية فى بعض المدارس الحديثة بأمريكا ومبلغ نجاحها ، وما أنتجته من أثر فى تغيير وجهة التربية تغييراً يمهد السبيل لبناء هذا العلم من جديد على أسس عملية ، تحل مشاكله وتضمن للطفل ما يرجى له من سعادة ، وما يرجى منه للمجتمع

وتلك الروح العملية هى الميزة الفذة لهذا الكتاب التى سبق أن أشرت اليها ، فهو خلاصة تجارب مربية متحمسة لمبدئها

عاملة على إسعاد الطفل وإعداده لحياته خير إعداد . وهذه الميزة فضلا عن عظيم فوائدها قد خلصت الكتاب من روح السأم وأبعدته من الثقل ، فأنت تطالعه فى تشوق واستمتاع ، وتقف منه على أمور كثيرة شيقة ، كاستخدام مقاييس الذكاء واستكشاف الفرد ، والسير وراء الطفل ، وحالة بعض المدارس التجريبية ، ومدارس العمل مع الدراسة واللعب ، وتجارب بعض أساطين التربية فى مختلف مراحل التعليم وسواها من المسائل العملية

والأستاذ المترجم بطويل خبرته ، ونافذ بصيرته ، وضلاعته فى الانجليزية ، كفيل بأن يحفظ للكتاب روحه فى لباسه العربى ، وأنا وإن لم أقرأ الأصل ، أحس من دقة الأداء ومن سهولة الفهم واستواء التراكيب العربية ، على بعد ما بين اللغتين من الاختلاف فى البناء والأسلوب ، أن التعريب قد تم على خير ما يرجى اتباعه فى تناول مثل هاتيك الكتب الدقيقة ، فاذا أضفت الى هذا أن الأستاذ خلافا متحمس لهذه النظرية ، كثير الترديد لها فى أحاديثه كلما تطرق الحديث الى نقد التربية فى مصر ، أيقنت معى أنه خير من يضطلع بنقل هذا الكتاب الى لغتنا

وانى لعظيم الغبطة ، إذ أقدم هذه الحلقة الأولى ، أو هذه الباكورة الطيبة من سلسلة التربية ، الى جمهور المربين والمدرسين وعامة القراء ، شاكراً للأستاذ خلاف حسن اختياره وحميد مجهوده

« الخفيف »

صدر اليوم كتاب :

فى أصول الأدب

محاضرات ومقالات فى الأدب العربى

بقلم

أحمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » بشارع المبدولى رقم ٣٢

وثمنه ١٢ قرشاً

الاسلام والحضارة العربية

تأليف الأستاذ محمد كرد على

نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر وثمنه ١٥ قرشا

أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الأول من كتاب الاسلام والحضارة العربية ، وقد طبع فى دار الكتب ويقع فى نحو ثلثمائة وستين صفحة كبيرة

أوحت فكرة هذا الكتاب إلى مؤلفه الجليل الأستاذ كرد على ، أريحية عربية نبيلة ، تتبينها فى مثل قوله « وسبيل هذا الموجز الآن تصحيح هفوات من أساءوا وما برحوا يسيئون للعرب ودينهم ورسولهم ومدنيتهم وذكر ما أثرته الحضارة العربية فى أمم الغرب والشرق ، وما منى به الاسلام ، لا لما غير أهله ما بأنفسهم ، من خصماء غير رحماء ، نالوا من روحه وجسمه فالتاثت أحواله وتنكرت معالمه والألماع إلى ما قام به المسلمون بعد طول الهجعة ، يلوبون على استعادة مجد أضاعوه ، وعلقوا اليوم يقطعون إليه أشواطاً ، حتى لم يبق أمامهم غير مراحل لبلوغ الغاية »

وما أحسب تسمية هذا الكتاب بالموجز إلا تواضعاً من صاحبه، فهو من الكتب الحافلة بشتى المسائل والبحوث . ثلثه الأول يدور حول الرد على مخالفى الاسلام وتفنيد مزاعمهم وبيان منازعهم فى الخلاف ، فتقرأ فيه كثيراً من التهم التى ألصقها المتعصبون بالاسلام والرد عليها فى قوة حجة وسلامة منطق ، يصحبهما الهدوء والرزانة ، كما يدعمهما سعة الاطلاع و نفاذ البصيرة ، ومن أمثلة المسائل التى يتوق كل مسلم بل كل منصف إلى الوقوف على حقيقتها ، والتى شرحها الأستاذ أحسن شرح وفندها خير تفنيد ، ما نسب إلى الاسلام من مذابح دينية وما اتهم به المسلمون من إحراق مكتبة الاسكندرية ، ومن بغضهم حرية الفكر وتعصبهم ضد العلم ، وما يردده الشعوبيون من أباطيل وتهم كمسألة صدق الرسول فى دعوته ، والقضاء والقدر وتعدد الزوجات والطلاق والحجاب والاسترقاق والربا والتصوير والنقش . . . الخ .

ولم يقتصر الأستاذ المؤلف على ما ساق من براهين ، بل لقد مكنته سعة اطلاعه من عرض أقوال المبطلين ، مشيراً إلى ما ينهض منها

حجة على أصحابها وما ينسخ منها بعضه بعضاً ، كما أنه كان موفقاً غاية التوفيق فى بيان العوامل التى أدت إلى جفاء الغربيين فى موقفهم من الاسلام ، وفى بيان ما يقعون فيه من أخطاء وأسباب تلك الأخطاء ، التاريخى منها والدينى والثقافى ، مما يعد بحق من أجل الخدمات التى يؤديها رجل نحو دينه ويضطلع بها عالم ابتغاء الحقيقة

وفى ثلثى الكتاب الباقيين ، يستعرض الأستاذ كرد على أحوال العرب منذ جاهليتهم ، فيتكلم عن العرب قبل الاسلام ودياناتهم وأثر المدنيتين اليهودية والنصرانية فيهم ، ثم عن العرب فى الاسلام ، مبتدئاً بشرح عاداتهم وأخلاقهم وأثر الاسلام فيهم مورداً رأى لبون ودوزى فى الفتوح العربية ، ولقد عنى ببيان ما عرفه العرب من علوم ومبلغ عناية خلفائهم بالعلم وتشجيع العلماء ، وبين مواطن اللغة العربية وأثرها فى اللغات الشرقية والغربية

وكان طبيعياً بعد ذلك أن يتعرض لوصف حال الغرب فى شباب الاسلام ، فيقابل بين ما كان يتمتع به العرب من نور ونظام ، وما كان يتخبط فيه الأفرنج من فوضى وظلام ، وأشهد لقد كان معتدلاً منصفاً فى هذا الباب ، فلم يجر على سنن غيره من متعصبى الغرب ، ولن تحس له حقداً أو تتبين فى نقده سخيمة أو ضغناً بل كان رائده الدليل والحجج التاريخية

ولقد قدم هذا الباب توطئة لبيان أثر العرب ومدنيتهم فى الغرب ، فكان له من هذا الوضع الطبيعى وهذا الترتيب المنطق خير مساعد ، وراح يعرض لنا ما كشفه العرب وما ابتكروه وما نقلته عنهم أوروبا عن طريق اسبانيا وصقلية وجنوبى إيطاليا ، ثم عقد فى خاتمة هذا الجزء أربعة فصول هامة ، قارن فى أحدها بين موقف المسلمين وأعدائهم فى الحروب الصليبية ، وبين فى فصلين منها غارات المغول والأتراك والمستعمرين من الغربيين على بلاد المسلمين وغيرهم ، وشرح فى الفصل الأخير أثر المدنية الغربية فى البلاد العربية وما تخللها من خير وشر

وإنى لأتقدم بجزيل الثناء إلى الأستاذ كرد على ، موقناً أن من يطالعون هذا الكتاب من أبناء العربية سيشكرون له شدة إخلاصه وحسن بلائه

الخفيف

كانديلورا

[بقية المنشور على صفحة ١٩٥]

هو وحده فى ذلك المنزل . لقد وصلت لوريتا اليوم من حمام البحر . وكانت قبل ذهابها قد طردت الخادمة ، فلا أحد يساعده على رفعها من الأرض ، ولا أحد يأتى بمربة تحملها الى أقرب مستشفى حتى يؤدوا لها الاسعافات السريعة . ولحسن الحظ سمع بوق سيارة البارون شيكو وهى قادمة فى الطريق ، وسرعان ما ظهر البارون بهندامه الأنيق ووجهه الأصفر الذى ينم عن شيخ ضعيف العقلية مديد القامة متصاب

وثبت البارون شيكو (المونوكل) على إحدى عينيه وقال : « ماذا جرى ؟ »

وصرخ نين فى وجهه قائلاً : يا إلهى ، ساعدنى على إنهاضها »

ولم يكادا يحملانها حتى رأيا أن يدها التى كانت منطوية تحت فخذها قابضة على المسدس ، كما رأيا نفرة من الدم

وتنهد نين : « آه . . . آه . . . » وهو ينقلها هو وشيكو إلى غرفة النوم

إن لوريتا لم يتصلب جثمانها من شدة الألم ، ولكن من الموت . ولما وضعت الجثة على السرير صرخ نين بابا فى وجه شيكو قائلاً :

« من كان معكما فى حمام البحر ؟ قل لى من كان هذا الصيف معكما فى الحمام ؟ »

وفقد شيكو صوابه وتمتم ببعض الأسماء

وزأر (نين) كالوحش وهجم عليه وأمسكه من قميصه وهزه هزات عنيفة وقال له : « يا إلهى ! كيف يكون كل غنى متمول أبله قصير النظر ؟ »

وتساءل شيكو وقد خاف على نفسه ، وكان من شدة الخوف يتراجع باستمرار : « أنحن حقاً بلهاء ؟ »

واشتد تأنيب نين بابا إياه ، وقال له : « أنتم ، نعم أنتم بلهاء لدرجة أنكم تذكون الأمل فى المساكين بأنهم سيكونون محبوبين منى ! أتفهم ذلك ؟ منى ! منى ! منى — محبوبين ! »

ثم وقع على جثمان لوريتا وانفجر يبكى بكاءً مراً

عربها عن الألمانية : **ا . ا . ى**